

تقديم ابتهالات في محراب الحُبِّ

إنَّه (أوراقُ الورد) الأخير، جدَّدَ فيه الكاتِبُ ألوانها، وأسماءها، وزخرفَ هيئاتها. إنَّه عَزَفُ فريدٌ على نَعْمَةِ الحُبِّ الخالِدة. كثيرون خاضوا فيما خاض فيه الكاتِب، لكنَّهم على كثرتهم انقسموا إلى فريقين؛ فريقٍ تحرَّرَ من كُلِّ قيدٍ فرأى في الحُبِّ نزوةً وإشباعاً فخاض في ذلك خوَصاً وراح يهيمُ في كلِّ وادٍ، وفريقٍ على الطَّرَفِ الآخر رأى ألا يتجاوزَ الحديثُ عن الحُبِّ غيرَ الحروف، مُحتجاً بما أمرَ به الدِّين من صونِ الحياء، والابتعاد عن المرذول من القول، فلم يجيئوا بشيءٍ وظلَّت حروفُهم باهتةً ميَّتة لا تجدُ فيها رُواءً؛ فلو أنَّهم سكتوا لكان خيراً لهم. وأمَّا كاتبنا فلم يكنْ من أيِّ من الفريقين، استطاع بحِرْفِيَّةِ قلمه أن يجمعَ كَشَفَ الفريقِ الأوَّل مع عِفَّةِ الفريقِ الثَّاني، فجاءَ بكلامٍ لم يجيئ به أحدٌ منهما، ووقعَ على أرضٍ خصبةٍ فأنبَتَ حدائقها من كلِّ زوج بهيج، ولمثل هذه الرِّسالة فائقة الجمال تتعطَّش الأرواح والقلوب.

فشبأبنا اليوم، ومجتمعنا بأكمله ينتظر مَنْ يكتبُ له عن الحبِّ بهذه الطريقة؛ جلاءً وصدقاً مع حياءٍ مُنضبطٍ.

أن تبدأ كتابك أو رسالتك بحقيقة فذلك عنوانٌ مفتاحيٌّ يهَيِّئُ النفوس لفهم المُراد من كلِّ حرفٍ يُخطَّ بدمِ الفؤاد، يقول: «هناك حقيقةٌ واحدةٌ هي أَنَّ الرَّجال ضُعفاء على موائدِ الحبِّ». وصدقَ فلا أجلي من هذه الحقيقة.

وإني حينَ طوّفتُ في هذا الكتابُ رأيتُ عجباً، شممتُ الوردَ من أطيّبِ شذاه، وتمتعتُ منه بأزهى رؤاه، ورأيتُ السماءَ صافيةً، والأفقَ مُمتدّاً، والجداولَ جاريةً تُوقعُ نغمًا يرقُّ له الفؤاد؛ فما أجملَ ما باحثٌ به حروفُ هذا الكاتبِ العاشقِ.

ولم أرَ - فيما قرأتُ - مَنْ جعلَ البابَ مُوارباً بهذه الصّورة اللذيذةِ مثله، لم يفتحْه على المُطلقِ فيُصبحُ المشهدُ مُبتدلاً، ولم يغلقْه تماماً فلا نرى ما خلفَ البابِ، لكنّه حينَ تركه موارباً رأيتُ من الجمالِ طرفاً بديعاً فتخيّلتُ الطرفَ الآخرَ منه، وقدّمَ لك لغةً كاشفةً تكادُ تُحسُّ أنّه ورّطَ فيها توريطاً فاضِحاً، فإذا هي ككشفِ الصّوفيِّ حينَ هامَ بالله، لذةً مع أدبٍ، وشوقٌ والتياع مع رقيٍّ وجمالٍ.

انظر إليه في هذا الكشف الذي يكاد يكشف عن قلبك غطاءه فتصرخ: هذا أنا لكنني لا أستطيع أن أقوله بهذه الطريقة؛ وهذا ما نويت أن أهدي به، لكنني لم أعرف كيف يكون الهديان صحيحاً إلا حين هدى هو عني، هذه الجراءة الحسية كنت أظن أنها محرمة على القول والفعل والخيال؛ فإذا هي بين حروف هذا الكاتب حلالاً أيما حلال، انظر إلى كشفه وجرأته الحسية حين يقول: «املئي عيونه كلما هبطت بسهامها الولهي على رسمك المغنى، وكلما جال ببصره بين تضاريس جسدك». أنا بالنسبة لي أتوه في تضاريس الجسد، اللغة هنا تعلمنا كيف لا نتوه. واستمع إليه معي حين يقول: «كوني صحيفته التي يسير بين سطورها على خطوط شعرك المناسبة، أو المتعرجة المتماوجة على مروج أكتافك وصدرك»؛ فهل حلال على المحب أن يتخيل مروج الأكتاف، وجنى الصدر؛ السؤال للكاتب!! ثم ما نوع الجوع الذي يريد الكاتب من المحبوبة أن تلجئ المحب إليه حين يقول: «أجيعه حدّ الاشتياق، ثم ألقميه ثدي الجمال». أليست هذه اللغة باذخة، طريفة، تكاد تقطر شهداً؟!

ولا شك أن الثقافة الدينية التي ينتمي إليها الكاتب قد أثرت على لغته المختلفة كذلك، فأيات الكتاب حاضرة في هذا السرد

الوصفي، وكذلك أحاديث الحبيب المُصطفى، ومن السّحر الحلال أن يُدرج الكاتب في عَرَضِ الكلام آياتِ الله فتتجلّى فيها الآيات. ولقد ذهبَ الكاتبُ أكثرَ من ذلك، فجعل الصّورة مُستمدّة من الإرث الدّينيّ الخالد، فالنّفخُ في الصّور، والمُضَيّ على الصّراطِ يكتسبان معنًى جديداً حينَ يستخدمها في رسالته هذه؛ فهذا هو يقول: «ويفتش... وما يزال حتّى يعلم علمَ اليقين أنّ روح حبيبه هي مهدُّ روحه الأخير، تواريه في حناياها حتّى يُبعثا يوم النّفخ الأخير من جديد، فيمّران على صراطٍ أحدّ من سهام الحُبّ».

إنّ التي يُخاطبها في هذا البيان الرّفيح، ليست امرأةً عاديّة، وليست رقماً مُهملاً، ولا هي قطرةٌ في النّهر الجاري، ولا نسمةٌ في مهبّ الرّيح، بل إنّها النّهر والرّيح، واستمع معي إليه في وصفها قائلاً: «فأنتِ جزءٌ أصيلٌ من هذا الوجود، وكفّة الميزان الكونيّ التي تحفظُ توازنه». فهل نعثُرُ على امرأةٍ من هذا الطّراز؟! السّؤال لك أنتِ كما اعتاد الكاتبُ أن يُخاطبكِ.

إنّه جسديّ، لكنّه ليسَ مشاعاً، وإنّها تضاريسُ هيئتكِ القاتلة ولكنّها لي وحدي، أنا الَّذي أعطيتكِ قلبي وروحي ووهبتُ لكِ كلّ ما أملك، فهبيني كلّ ما تملكين: «فما أحوج الحبيب لقوامِ مصقولٍ

ممشوق، يتوسّطه خصرٌ هضيمٌ، ليصير كمرآةٍ مجلّوةٍ، فتحتضن أنفاسه». ولا يتورّع الكاتب عن ذكر الخمرة؛ لكنها ليست خمرة العجم، ولا التي يشربها الإنسان مع الشيطان، بل هي خمرةٌ من نوعٍ آخر، هو يُحدّدها بقوله: «املئي نفسك بخمرة الحبِّ واتركيه يحتسيك حتى آخر أنفاس الصُّبح». ولأوّل مرّة يُمكن للعائِثِ أن يتحسّس إبريق الجيد، ويتذوّق حليب الدّراعين، هذا ليس موجودًا إلا هنا، ولربّما لم نكتشفه قبل هذه الكلمات: «ويرى أعواد الزّنبق في إبريق جيدها، ويشمّ العنبرَ والمسك الرّاشح من حليب ذراعيها».

الكتاب كلّهُ تعريفٌ للحبِّ شرحًا وتفصيلًا، قبضًا وبسطًا، لكنّه أحيانًا يعمد إلى هذا التعريف مُكثّفًا؛ فاسمعه يقول: «الحبُّ ثورةٌ الأحاسيسِ والمشاعرِ في إطارِ القيودِ المُجمعيّة».

ولم أرَ خبيرًا في الأزهارِ مثله، لقد اخترع - ربّما - لها أسماء لم نكن نعرفها من قبلِ هذا: «كوني بكرًا بأسمائك الوردية المتألّفة المتناسقة مع الليالي والإصباحات، فليلاً ياسمينية، ويومًا جورية، وأخرى قرنفلية، كوني زهرة السّالي المُستوطنة أعماق البحر، وزهرة الجنّة كليماس، وزهرة ليالي البيضاء، أو زهرة الدّالين الهندية، والزّهرة رنده ولورين وميرام».

وبعدُ، فهذه لغة عالية، فيها من الجاحِظِ بلاغةَ ألفاظِهِ ودِقَّةَ معانيهِ، ومن التَّوحيديِّ حُسْنَ تقسيمه، ومن الرَّافعيِّ جمالَ وصفه، ومن المنفلوطيِّ سهولةً في غير ابتدال، وعمقٌ في غير تعقيد. وإنَّ كتابًا مثلَ هذا الجديرُ بالحِفظِ.

أيمن العتوم

عمان - ١٣ / ١ / ٢٠١٦ م

يُولدُ الحُبُّ من رَحْمِ فِطْرَةٍ..
ويتجدد على أنفاسِ قُبلة..
ويعيش طويلاً أبدياً على صدقِ كلمةٍ تتفياً ظلالَ القناعة..

مَهَيِّدٌ

تتعدّد فلسفات الحُبِّ بتعدّد رجاله وفرسانه، فلكلِّ مدرسته في هذا المضمار الواسع الرَّحْب، لكننا نرى بأنَّ هذه الفلسفات تكادُ تكونُ متشابهةً إلى درجةٍ كبيرةٍ، بل تكاد تكون متطابقةً ومتماثلةً كلَّ التَّطابق والتَّماثل، فهي تنهلُ من نبعٍ واحدٍ، ألا وهو القلب الخافق بضربات الحُبِّ المستعرة، والتمدُّقُ بأنفاسه اللاهبة اللاحبة، ولأنَّ أدوات الإرسالِ وأدوات الاستقبالِ القائمةِ والمسؤولة عن عمليَّة التَّلاقح البصريِّ الأوَّليِّ واحدةٌ، ألا وهي العين، ولأنَّ النَّتائج المترتبة على ما سبق تكاد تكون بنسبة ٩٩٪ هي واحدةٌ في القديم والحديث، وفي الماضي والحاضر؛ فلا معنى للزَّمن هنا، فمهما تبدّلت حقبه أو توالت دهوره فالنتيجة حتميَّةٌ، احتراقٌ لمشاعر المُحبِّين، وصهرها في أتون الحُبِّ المتأجِّج، لذلك تشابه مدارس الحُبِّ وفلسفاته فيما تخوض فيه. وفيما تُنتجه، ولأنَّ هناك حقيقةً واحدةً لا يمكن إنكارها، ألا وهي أنَّ معاشر الرجال، ومهما علا شأنهم أو دنا، ومهما تفرقت انتماءاتهم العرقية والدينيَّة وجذورهم،

ومهما تعاكست ألوان بشرتهم بين أسود وأبيض أو ما بينهما، فهم شركاء في الجذر والأصل والانتماء إلى أب واحد، وإلى طين صلصال فيها نفخة من روح إله واحد لا إله إلا هو، فلا يغرّتك تقلّب ألسنتهم بين عربيّ وعجميّ، فالحبّ لغة واحدة، وهناك حقيقة واحدة هي أنّ الرّجال ضِعفاء على موائد الحبّ.

وإن هي ضنّت عليهم، ولم تفض إلا نزرًا يسيرًا من شررها، ظلّوا يتدافعون تقودهم قلوبهم نحو الاحتراق والتّصليّ على حرّ جمرها وتوقّد نارها الملتهبة، وإن هي فاضت عليهم بما حملت وأثقلت فما شعوا لوأذاً بجنبااتها، ولا ثملت قلوبهم شوقاً وإيلامًا، فالحبّ يشقي ويشفي، ويحيي ويميت. يُفرح ويحزن، فلسفة تناقضات لا تكون إلا في مدرسة الحبّ!

ومهما كانت شعاب الحبّ كأداء، ومساربه ضيقة متحدرة؛ فإنّ تلامذته يعشقون مطاردته في مسارب الحياة المتشعبة، وهم على استعداد لبذل لوعة القلب ولهفته في سبيل حبيب سواه الإله وصنعه على عينه، وبنفخة من روحه أجرى فيه الحياة، وجعل فيه من الملائكية نورها، ومن البشرية فطرتها، فكانت تركيبته بعيدة كلّ البعد عن تركيبه الشيطان المرید، والجانّ المصنوع من نار السموم. حبيب من صلصال جمع بين الروح والنور تشریفًا وتكریمًا من الإله، وإبعادًا

وارتقاءً به من طينية الحمأ المسنون، ليكون مهبطاً وقبلةً لحبيبٍ إذا نظر إليه أسرّه، وإذا غاب عنه اشتاق إليه، وحفظه في العقل والقلب، وإذا سأله لبيّ.



حبيبٌ في أعماقه السّكينة انغrust أصولها وأسُسها، ومن حناياهُ تتفجّر السّعادة..

حبيبٌ هو مهدٌ لروحٍ متعبّدةٍ في صومعة الحُبّ المقدّسة، ومهبطٌ لفؤادٍ وعقلٍ باحثٍ عن سرّ الجمال وكنهه.

الرّجل يبحث عن حبيبٍ تمثّلت فيه حديقةُ أزهارٍ موشاةٍ بألوان الطّيف، ومنتظمةٌ في قوس قزح النّاجم عن فوضى صيفيّةٍ عابثةٍ في حرم الشّتاء.

الرّجل يبحث في حبيبه عن صحيفةٍ ولّادةٍ تجيئه بأخبار الحُبّ من أعماق الماضي السّحيق، أو الحاضر المنظور، وهو قادرٌ على استشراف المستقبل، وقراءة تفاصيل الحُبّ المدفونة خلف حجب الغيب.

الرّجل يفتّش عن حبيبٍ يجد فيه أغانيه وأشعاره، سهره وسمره، قهوته وشراب سكرته، يفتّش في تخوم تضاريسه، ويحوم بعينه وعقله وروحه في ثناياها؛ ليقرأ الجمال وليتذوّقه، ويتعلّم فلسفة ألوانه

وتشكيلاتها، ويفتّش عن وعن وعن... ويفتّش ويفتّش... وما يزال
 حتّى يعلم علمَ اليقين أنّ روح حبيبه هي مهدّ روحه الأخير، تواريه
 في حناياها حتى يُبعثا يوم النّفخ الأخير من جديد، فيمرّان على صراطِ
 أحدّ من سهام الحُبِّ، وأصلب من مرور الرّيح الطّيبة على بلدٍ ميّتٍ
 فتحياه، فيستقرّان في نزلٍ أبديّ في جنّةٍ أبديةٍ ليمارسا الحُبَّ الخالد..



هيه.. هيه.. أنتِ إحدى ثلاثٍ..

أمي..

أختي..

بنتي..

هيه أيتها المرأة، أنتِ إحدى ثلاثٍ، إما أن تكوني مقامَ أمي، أو
 مقامَ أختي، أو مقامَ بنتي، وأنا واحدٌ من رجال هذه الدنيا، وصاحبُ
 قلبٍ اصطلّى بنار الحُبِّ، ولا يزال يكتوي شوقاً على مائدة الحُبِّ
 المتجدّدة بتجدّد الأيام الآتية على بساطه المخمليّ المتورّد.

فمن احتراقِ قلبي، والتواعِ روحي في شعاب الحُبِّ، وتلظّيها

على جذوته المتّدة على مدار أكثر من ثلاثة عقود، وزعمي أنّ قلّمي ضليعٌ في معرفة مجاهل صدور الرّجال، وما تعرفه عيونهم من بواطنها في صفاتٍ ومواصفاتِ الحبيب الذي يريدون؛ أهديك هذه الورقات التي حملت اسمك، فجاءت بعنوان: «كوني أنت»، وبحثّ بحر وفيها في قاموس الأنتى عن أسرار الجمال، فشكّلت بكلماتها لوحاتٍ فنيّةً تشكيليّةً تجعل الرّجل يُمعن ويتمعّن ويَطيل النّظر، حتى تأخذه بسحرها في رحلةٍ بعيدةٍ عميقةٍ في بحور الجمال الأثويّ.

ولقد جعلتُ هذه الورقات على منوال النّصيحة الهامسة والمتنفسّة في وجدانك، ونسختها بقلم الحُبّ الأدبيّ لتليق برقّك ولطفك، ولتدلف عميقًا في حشايا عقلك وقلبك معًا، ولتنمو شجيراتُها النورانيّة في بيت زوجيتك المُقدّس، ولتبقى لك بمثابة نبعٍ صافٍ يمنحك الجمال، ويجدّده لك مع كلّ نظرةٍ يسترقها المحبُّ، ولتكون المعين الذي لا ينضب، ولا يجفُّ سوارُه من ماء الحُبّ الذي يضيفي على علاقتكما، ويمنحُها حياةً أبديةً.

فكوني أنتِ...

جمال

سجن نفحة الصحراوي

* كوني أنت ...

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ
اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ
مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١).

هل لك أن تكوني تلك الفتاة التي شخصتها الآية القرآنية وجمع
رسولنا الكريم خير متاع الدُّنْيَا في كينونتها بكلمة واحدة «الصَّالِحَةُ»!
لقد أراد لك هذا الدين أن تكوني - المرأة أو الفتاة - الصَّالِحَةَ
في نفسها، وعقلها، ودينها، وجسمها، إذ لا يمكن لتمام الصَّالِح
بنقص إحدى هذه الرُّبَاعِيَّة المتناسقة، ليصلح البيت الذي أنت
عمادته وركنه الأساس، على قياس القلب من الجسد «ألا إنَّ في
الجسد لمضغعةً إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسدت
سائر الجسد ألا وهي القلب» كما ورد في الحديث الشَّريف^(٢)،
وأنت بمثابة القلب من البيت، تمدِّينه بالحياة كما يستمدُّ الجسد الدَّم
عبر مضخَّات القلب، تُضخِّين أسباب الحياة.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة
الصَّالِحَةُ، حديث رقم (٦٤) (١٤٦٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث رقم (١٨٤١٢).

في أرجاء البيت وجوانبه، تُضفين على ساكنيه طمأنينةً وسكينة،
فيأنس الخائف ويطمئنُ القلق.

أنت القلب الذي ينفث أنفاس الحياة في حنايا كيانك الأسيِّ
على مدار السَّاعة، ولا تعرفين التَّعب ولا النَّصب، ولا يتسلَّل إليك
يأسٌ أو قنوط، ولا يعتريك تأفُّفٌ نافرٌ، ولا تأوُّهٌ عابرٌ، كالقلب الذي
يفتأ شربانه سقيًا لعوالم الجسد بإكسير الحياة ومائها؛ ليقبه خضرًا
غضًا يافعًا، مهما توالى عليه السنين، وكَرَّت على هامته الأيام
بمنغصاتها وشوائبها، ومهما تلون ظاهره بأخايد الشَّيخوخة وعلته
الأشواكُ البيضُ، يبقى باطنه منبعًا للحيوية مدفَّقًا للشَّباب.

قال رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه:
«ألا أخبرك بخير ما يكتنزه المرء، المرأة الصَّالحة»^(١).

هذا الكنز الحقيقيُّ الذي يُشقى لنواله، ويُسعى في أثره، وإن
بُعُدت المَسافات، وإن وعرت الطُّرقات، هذا الكنز الذي تُشقُّ من
أجله الصُّعاب، وتُبدل في سبيله الهمم، وتُحرق الأبواب صبرًا على
نواله والفوز به.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، حديث
رقم (١٦٦٤).

فكوني «الصَّالِحَة»، التي صلحت دنياها بصَلاح دينها، فلا خيرَ في صلاح الحال المادِّي دون صلاحٍ روحيٍّ؛ لأنَّ الصَّلاح الروحيَّ هو الضَّابط للصَّلاح الماديِّ، وهو الموصول إلى النِّهايات السَّعيدة والآخرات الأبدات، والجَنَّات الخالدات.

أنتِ المتاعُ الدنيويُّ المَنشود إن صلحتِ، وأنتِ الكثرُ المكنوزُ في قلوب المستحلِّين إن صلحتِ.

وبهذا يكون حقاً لك أن تتعدي إلى الإصلاح بعد الصَّلاح، وأن تكوني صالِحَةً مصلِحَةً؛ لتحوزي الخيرَ كلَّهُ، ويحقُّ لك بعد الصَّلاح في نفسك أن تصبحي مُصلِحَةً في غيرك، في زوجك، في أهلِكَ، في جيرانك، في صحبتك، في بلدك، في مجتمعك، ثمَّ في أمَّتِكَ جمعاءً، تطبيقاً لسنة الله في أرضه، وتنفيذاً لمشيئته في خلقه.

فالحقيقةُ الإلهيَّةُ من الوجود أن يباشر الخلقُ الإصلاحَ بعد الصَّلاح، ليُعمرَ هذا الكونُ إعماراً روحانياً، ينعكسُ تلقائياً بجماله على الماديَّة، فتعمرَ بما يليقُ ويتناسقُ والقدسيَّة الإلهيَّة، فترتقي إلى المقاماتِ السَّامقة التي لا تحدُّها الفُضاءاتُ، ولا تستطيعها النداءاتُ الهابطةُ، ولا الأديانُ المبتدعةُ من طينٍ لازِبٍ، والمولودةُ في بطونِ الكهوفِ المُقفرة، والمُقتاتة على فتاتِ الفكرِ الماديِّ الإلحاديِّ الذي يرفضُ الفطرة، ويُنكرُ أصولَ الفكرة.

فأنتِ جزءٌ أصيلٌ من هذا الوجود، وكفّة الميزان الكونيّ التي تحفظُ توازنه، وتمنعه من الميلان والانحدار، وتحميه من الانسحاق في أودية الرذيلة والانحلال، أنتِ أحدُ جناحيّ طائر الكون الذي لا يمكنُ أن يخلّق دونَه في مجالاتِ الدنيا المتعدّدة والمتشعبّة السُّبل والتوجُّهات.

فالصّلاحُ يجبُ أن لا يُقصر أو يُحصر بين أربعةِ جدرانٍ مسقوفةٍ بقبّةِ قشٍّ أو طينٍ، قد تكونُ هي منبعه وعينه المثالة التي تجود به ليصلَ عبرك ومن خلالك إلى كلِّ جوانبِ الحياة.

* أيتها الصّالحة المصلحة..

اعلمي أنّ كلّ أنواع الصّلاح وأشكاله مطلوبةٌ، فصلاحُ الهيئة والصّورة مطلوبٌ، فما صلح وجهُ الشّمس إلا بإشراقه، وما صلح وجهُ القمر إلا بجمالِ ضوئه، وما عرفت النُّجوم إلا بوضوحيتها اللامعة المشعّة، كذا اللسان ما جمّله إلا المنطق السّليم واللفظ العذب.

وكذا الجسمُ إذا امتشق واستوى، وهضم الكشح، وامتلاء الصدر فتهندس بأداة أحسن تقويم، وكذا العقل ولبنات جماله الخماسيّة حذّة، ذكاء، حضور، فطنة، واختلاق «إبداع».

كذلك صلاح المعاملة مع الآخر يكون بالسّلاسة، وحسن

المداراة، وعبقريّة القبول والرفض، والأخذ والردّ، كذلك صلاح الإدارة يتأتى بسوس الأمور وتطويعها وترويضها بما يتوافق ورسالة السماء.

وكذا الجدل والمجادلة تحت مظلة ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، بعيداً عن الخصام واللجاجة والفظاظة، بالحكمة، والموعظة الحسنة، وغضّ الطرف عن المخاصمة واللدادة.

كذلك صلاح الرؤية والبصيرة والقدرة على استشراق القابل واستقراء الغيب، وهذا يتأتى بالتقرب إلى الله، والتطوُّع بين يديه، إنّه الصّلاح الروحيّ الذي يمنحك نور الله وهدايته، فتسمعينَ بسمعه، وتبصرين بنوره، وتمشين على هدىً منه ولا تضلّين السبيل، فقد أودع في قلبك قسماً يسرّج لك في الظلمات، ويقدح أوزاه في المدلهمات.

فهذا الصّلاح الذي يأنس إليه الحبيب، وتدوب همماته الفطريّة في بوتقته، ويحرص على اكتنازه والمناهضة من أجله، ويرى حلمه في تفصيله، إنّ صلاحاً على هذا المثال يكون منبت الفأل لديمومة الحبّ، وحياة هي الأجمل والأرقى من كلّ الحيوانات الأخر..

فكوني أنت...



* كوني صحيفته اليومية..

تملأ العينَ جمالاً والسَّمعَ مقالاً..

آتيةً بأخبارِ الحُبِّ اللاهبة.. افتحي له مغاليقَ الجمالِ المُوصَّدة،
غذّي روحَهُ بأسرارِ الحُبِّ كلِّما قلبَ صفحاتِكَ بأصابعَ عطشى..
املئي عيونه كلِّما هبطت بسهامها الولهى على رسمك المُغنى،
وكلِّما جال ببصره بين تضاريسِ جسدك..

كوني صحيفته التي يسيرُ بين سطورها على خطوطِ شعركِ
المناسبة، أو المتعرجة المُتماوجة على مروجِ أكتافك وصدرك..
كوني صحيفته التي كتبَ كلماتها بريشةً استجمعت شعيراتها
من رمشِ عينيكِ، فصيغتْ بدقَّةٍ متناهيةً، فجمعت بلاغةَ الحُبِّ
ووضاحةَ الجمال..

لا تجعليه يقرأ الحُبَّ من صحفِ الغربِ أو الشرقِ، أو على
شاشاتِ هوليود وجمالِ التبتِ وسهولِ الشرقِ، لا تجعليه يتعبَّد في
دورِ الموضَّة والأزياء، أو تتبارى عيناه خلسةً في نوادي الجمالِ
العاري، أو على شواطئِ الحُبِّ المسافحِ الفاضح.

بل كوني تلك الصفحاتِ التي كلِّما حرَّكتها أنفأسه أو داعبتها
أحاسيسه وحوائجُه نثرت من بين ثناياها روائحَ الحُبِّ العتيقة، تلك التي

دُرِّسْتُ في زمنِ بثينةٍ وجميلٍ، وعبلةٍ وعترةٍ، وأسطورةٍ جوليتٍ وروميو...
 كوني صحيفته التي تحملُ الحُبَّ وأسراره، وتستجلبُها من
 عوالمِ الغيبِ، ومن خلفِ حجبِ الماضي، والقادرةُ على ابتداعِ
 فنونٍ جديدةٍ للحبِّ، كلِّما استجمعت في أشعةِ الشَّمسِ الذهبيَّةِ، أو
 تناعست في حمرةِ عينِ القَمَرِ..

فكوني أنتِ...



كوني قمره...

كوني قمره المنيرِ، لا تكوني محاقاً ولا هلالاً ولا... ولا.. ولا،
 بل كوني بدرَ التَّمامِ المُستديرِ المُختالِ بجمالهٍ وتمامه على كلِّ جمالِ
 النُّجومِ والأقمارِ، وعليه يقلِّبُ وجهه بين شرقٍ وغربٍ، ويرسلُ بصره
 عن يمينٍ وشمالٍ، ولا يرى إلَّاكَ مزفوفةً في عرسِ حُبِّ أبديٍّ، ساحاته
 سماءٍ صافيةٌ، تجلَّت في صفحةٍ وجهك الوضيءِ، وضيوفه
 نجومٌ وأقمارٌ جاءت لتسجدَ سجدةَ الأمانِي في محرابِ حُسنِكَ البهيِّ.
 دعيه يمضي في ساعاتِ سهره على أسرجةِ أنوارِكَ المبتوثةِ
 في جنباتِ البيتِ، دعيه يسمرُ وهمساتِ سكناتِكَ وتمايلِ حركاتِكَ

المرسومة على الجدران والدارعة بين العُرف والحجرات كما يذرُع القمرُ البدرِيُّ مسافاتِ الليلِ؛ ليلقي أمواجه النُّورانيَّةَ على وجه المَداراتِ، وعلى جوانبِ حُطوطِ الطُّولِ والعرضِ المُتَراميةِ.

دعيه يلعقُ مذاقَ الجمالِ من بدرِيَّتِكَ المتكوِّنة من جزئِيَّاتِ النُّورِ، والمُسوِّاة من موادِّ فنونِ الهندسةِ الإلهيةِ، أجييعه حدَّ الاشتياقِ، ثم ألقميه ثديِ الجَمالِ.

اجعليه لا يعرفُ للحسنِ لونًا ولا شكلاً إلا من ذاك السَّحرِ الجَميلِ المُنصبِّ مع تياراتِ وشلالاتِ النُّورِ القَمريَّةِ الدافقةِ مِنْ عَيْنِ السَّماءِ، من عَيْنِكَ الحَسناءِ.

كوني قمره الذي يملأُ قلبه بالحُبِّ الخالِدِ، كما يملأُ قمرُ السَّماءِ زوايا الأرضِ وأرجاءها بالهُدى السَّافرِ دون قبضٍ أو حسابِ.
كوني قمره الذي يُشبعُ عينه من مائدةِ جمالِكَ المُوشاةِ بكلِّ طيبٍ ولونٍ؛ كما تنهلُ عيونُ الأرضِ من نبعِ النُّورِ الدَّفَاقِ لقمرِ السَّماءِ.
اجعليه يُمجِّدُ الخالقِ، ويقدِّسُ له، وأنتِ تتراءينَ له تشعَّينَ نورًا كما يسبِّحُ الليلُ بحمدِ ربِّهِ لإسراجِهِ بأقمارِ السَّماءِ وبروجِها.

كوني قمره الذي يضيءُ عتماتِ ليليه، ويهدي عقله إلى أسرارِ الجمالِ، ويحفظه من التَّيهِ والضَّياعِ في شعابِ الجمالِ العاريةِ

المُصْطَنَعَة، ويحفظُ عينيه من تبعيَّةِ الأعقابِ الغازية من كلِّ حدبٍ
وصوبٍ، والآتية من فوق ومن تحت؛ لتصنعَ على الأفتدة حجبها،
وعلى الأبصارِ أغشيتها.

كُونِي أَنْتِ، من تهدي إلى حلالِ الحُبِّ ودوامه بنورِ الصِّدقِ
وجماله، ما دُمتِ تَرْفِينِ بأجنحةِ النُّورِ، وترفلينَ في حُللِ البهاءِ،
وذلك بيدك..

فكُونِي أَنْتِ...



• هَمْسَةٌ..

الحُبُّ: ثورَةُ الأحاسيسِ والمَشاعِرِ في إطارِ القيودِ المُجمعيَّةِ،
وضمنَ محيطِ القيمِ الدينيَّةِ الفاضلة..



* كوني بكرًا..

قال رسول الله ﷺ كما جاء في صحيح مُسلم من باب النكاح في حديث جابر: «فهلَّا تزوجت بكرًا اتصاحِكُها وتصاحكُك وتلاعِبُها وتلاعِبُك»^(١).

من البديهي المعلوم أنَّ لكلِّ شيءٍ باكورته، وهي مبدؤه وأوَّله، فكما لهذا الكون باكورته، وكما أنَّ آدمَ باكورةُ الخلقِ البشريِّ، وكما أنَّ للتَّاريخ باكورته، وللجمالِ باكورته، وللشَّمْرِ باكورته، وللزَّهرِ والورودِ...و...و... فإنَّ للطَّبيعةَ الغريزيَّةَ البشريَّةَ باكورتهَا.

والمعلوم بأنَّ باكورةَ الشَّيءِ إذا ما بدأت وتَشكَّلت فلا ترجعُ أبدًا، فإنَّ لها شكلها وزمانها وعمرها وطعمها ولونها، الذي يذهبُ بذهابها ويمحى بانقضاء وقتها، وهذا منطبقٌ على باكورة الفتاة، إذا ما انفضت فلا رجعةَ لها أبدًا «وإنَّ أجازَ العلمُ بقدرته هذه الأيام هذا، ولكن ليس بإتقانٍ وإبداعِ صبغةِ الله البديع» لا بمذاقها البكريِّ الأوَّل، ولا بالحالةِ النَّفسيَّةِ الأولى، والطَّبيعةِ الفسيولوجيَّةِ ذاتها، ولا بهيئةِ العرْضِ والشَّرْفِ المَصونِ بختمِ الإله.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر (٥٨) (٧١٥).

ولكننا ومن خلال البلاغة المُحمّديّة المُتجلّية في بيانه السّاحر:
«هلا بكرًا تضاحكها وتضاحكك وتلاعبها وتلاعبك» نجد أنه لم
يقتصر باكورة الفتاة على الحالة الفسيولوجية لتركيبها، وعلى ذلك
العشاء الطاهر الذي هو بمثابة تذكرة الشرف وقفل العرض الصلب
الموصد لدى الفتاة.. بل نراه - وهو الذي لا ينطق عن الهوى بل
وحياً يوحى - يربط الباكورة بالملاعبة والمضاحكة المطلقة غير
المربطة بزمان ما، ولا بحال من الأحوال، وهذا دليل على أن
الفتاة البكر لديها القدرة على الاحتفاظ بباكورتها وتجديدها على
الدوام، واختلاق أشكال وألوان للبكرية من خلال القدرات الخلقية
والخلقية التي تتمتع بها الفتاة، والتي أودعها الله تعالى فيها لتبقى
محطّ إعجاب ومهبط حبّ الحبيب.

ألا ترين أن الأيام تولد وتتوالد على الدوام، تتشابه بالأسماء، لكنّها
تأتينا بأحمال وأثقال من عوالم الغيب مع إشراقة كل شمس من شمسها،
فهي تتابع تتراً، وتتعاقب من الليالي تباعاً، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها، لكنّها تبتكر (تجدد باكورتها) بحوادثها وتصاريفها.

ألا ترين أن السنّة تأتي بفصولها الأربعة بكريّة كلما دارت
الشمس دورتها، فربيعها يأتي أخضر مزهراً مزهواً يرفل في ثوب
البكرية الطاهر، وصيفها يأتي متحدّياً بشموسه وأقماره الساطعة

وليليه المقمرة المُنجمة الحالمة، وخریفها يستحمُّ في تياراتِ الرِّيح
ليجلو الكونَ من أدواته فيعيده بكرًا كما نشأَ أوَّلَ مرَّة، وشتاؤها
يقتحمُّ هاجمًا بأموجِ سحبهِ وغيومه فيشطفُ الفضاءاتِ المغبرة،
وبساطِ الأرضِ المقفرِ المُجدب، فيلاحقُها بماءِ الحياة، فتثقلُ بعد
عقمٍ وجدبٍ، ثم تصنع بكرًا بعد بكرٍ حتى تأخذ زخارفها فتعجبُ
الرُّزَّاعَ وتلهمُ العُشَّاق..

هكذا تتجددُ البكريَّةُ في الأشياءِ، فتعالى ولا تكتفي ببكريَّتِكَ
الأولى التي ملأت بحلاوتها وعسيلتها ليلةَ زفافِكَ إلى الحبيب، بل فيكَ
من الأسرارِ والقدراتِ الإبداعيةِ المدعومةِ بسرِّ روحِ الإلهِ السَّاكنةِ في
كنهِكَ ما يجعلُ منك بكرًا كلِّما شئتَ هذا، فيكَ من الجمالِ الجسميِّ
والعقليِّ ما يجعلُكَ بكرًا كليلتِكَ الأولى، عقلٌ قادرٌ على صنعِ الأحداثِ
والعلاقاتِ الحميميَّةِ المُتشابكةِ والمُتجدِّدةِ، يصنعها تحت ظلالٍ من
الحُبِّ الدَّافئِ الوَريفِ، المُحتاجِ للبكريَّةِ المُتجدِّدةِ، بألبسةِ شفيفةِ،
وخمائلٍ موشَّحةِ، وعطورٍ وروائحِ فواحةِ، كوني امرأةً معطار:

كأن القرنفلُ والزنجبيلُ وزاكي العبيرِ بجلباها

فكوني بكرًا، بأناقةٍ متجدِّدةِ، بعطركِ، بحديثِ لسانِكَ، جاعلةً
إيَّاهُ كلدَّةَ النَّشوانِ، كوني بكرًا بألوانِ أطمعتِكَ، ومسمياتِها ومذاقاتِها،

بكرًا بمفاهيمِ الحُبِّ، وفهمك لتفاصيلِ الحياةِ الأُسْرِيَّةِ والزَّوْجِيَّةِ
ومتطلِّباتِها..

كوني بكرًا بمنحه سعادةً لا تنضبُ، مستمدةً مهجتها من نبعِ
حُبِّكَ الخالصِ وودِّكَ المَتِينِ..

ففي شفّيتك مجسّاتٌ تجعلُها تجيدُ فنونَ التَّقْيِيلِ، فلا تموتُ
قُبْلَتِكَ البِكرُ أبدًا..

وفي حِجْرِكَ دَفءٌ يحتفظُ بدرجةِ حرارةِ الحُبِّ الملتهبِ، ممّا
يجعلُكَ لا تنسِينِ حُضْنِكَ البِكرِ..

وفي محورِ صدرِكَ وهلالِي ذراعِيكَ مكنوناتٌ خفيّةٌ تُحرِّكُها
شعيراتٌ من المشاعرِ والأحاسيسِ، فتفتحُ وتنغلقُ كلِّما هبَّت عليها رياحُ
الصَّبِّ والشَّوْقِ فتضمُّهُ ضَمَّةٌ ألدُّ من الضَّمَّةِ الأولى، الضَّمَّةِ البِكرِ..

كوني بكرًا.. بكلمةِ حُبٍّ وعشقيّ وغزليّ، فكونيها كلَّ يومٍ فيه
فيبقى يلتأكها حتى الثَّمالة..

كوني بكرًا.. في تشكيلِ شعركِ كلَّ يومٍ على شاكلةِ، أسدليه،
عَرَجِيه، كُورِيه، جدليّه، بعثريه، خصلِيه، وشيّه، مَوْهيّه، لُونِيّه..

إنَّ شعركِ لوحةٌ فنيّةٌ متعدّدة المَضامِينِ والأسرارِ والألوانِ،
أعملي ريشتكِ منه بتقنيّةٍ وعنايةٍ ورغبةٍ تملكين من حبيبك عيونًا

شَوَافَةٌ تَوَاقَةٌ، وتالين أنفاسًا هائجةً مائجةً، وستسحرين الرُّوحَ فيه،
وتسليين اللَّبَّ منه..

كوني بكرًا بتشكيلِ جِسْمِكَ وقولبةِ قِوَامِكَ، رِيضِيهِ رِياضَةً
تحفظُ عليه نضارتهُ ويفاعتهُ وغَضاضتهُ، فما أحوج الحبيبِ لقوامِ
مصقولٍ ممشوقٍ، يتوسَّطُهُ خصرٌ هضيمٌ، ليصير كمرآةٍ مجلَّوةٍ
، فتحتضن أنفاسه.

كوني بكرًا بأسمائك الوردية المتألفة المتناسقة مع الليالي
والإصباحات، فليلاً ياسمينه، ويوماً جوريةً، وأخرى قرنفليةً، كوني
زهرة السالي المستوطنة أعماق البحر، وزهرة الجنة كليماس، وزهرة
ليالي البيضاء، أو زهرة الدالين الهندية، والزهرة رنده ولورين وميرام،
إنها أسماء تجعل من خيال الحبيب محلِّقاً في رياضك الوارفة المجددة
بكريتها بكل اسم سمَّيته نفسك.

وبكرًا كنوار الرياض حديثها تروق بوجهٍ واضحٍ وقوام

كوني بكرًا في كل شيء، في كل تفاصيل محتوياتك، لا تموتي
بعد ليلة الزفاف، لا تصيري حطبًا لا دفء فيه ولا روح.

لا تبخلي على نفسك وزوجك وحبيبك بدقائق معدودة من
الاهتمام والعناية التي من شأنها أن تحيلك عروسًا في كل ليلة من لياليك.

هي نعمُ الله التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، أسبغَ بها عليكِ، منها ظاهرةٌ وأخرى باطنة، فحدَّثني بها زوجك بالفعل والقول.

لا تركني إلى مسحةِ الجمالِ الأولى التي خصَّك اللهُ بها، فهي كالأشجارِ والورودِ تموتُ إذا لم تشدِّبها بأدواتِ الجمالِ وفنونه، وإذا لم تسقيها بمدادِ الحُبِّ الذي هو حقُّ له عليكِ.

لا تحرقني أعوادكِ اليافعاتِ في أتونِ النَّهرِ، والنَّحرِ، والصُّراخِ، والعويلِ، وضجيجِ المطابخِ والمنافخِ، وفرقةِ الصُّحونِ والطناجرِ، والجفانِ الرَّاسياتِ وقُدورِ مرتجاتِ فائراتِ، لا تشوَّهي وجهكِ الذي تجري فيه الشمسُ بسحبِ الكآبةِ واليأسِ، ولا تُذبلي جيدكِ الذي يُقبل فيه القمرُ بدخانِ المواقِدِ، واسمعي شعراً:

وذات خدٍّ متورِّدٍ	قوهيَّة المتجرِّدِ
تأملُ العينُ منها	محاسناً ليس تنفدُ
فبعضها قد تناهى	وبعضها يتولَّدُ
والحسن في كلِّ عضوٍ	منها معادٌ مردَّدُ



• هَمْسَةٌ ..

هناك أساليب وطرقٌ عدَّةٌ لكشفِ سرِّ الحُبِّ الدَّرِيِّ المكنوزِ
في أعماقِ الحبيبِ النَّفْسِيَّةِ والرُّوحِيَّةِ.

إحدى هذه الأساليب والأدوات:

تعلُّمُ مبادئِ التَّقْبِيلِ وفنونه ومفاهيمه ونظريَّاته، تماماً كتعلُّمِك
العلوم بمنهجيةٍ، وتتبعُ نظريَّاتها وتطوُّراتها، وتعلِّمُك القتالِ بفنونه
المُختلفة، واكتسابِ درايةٍ ودربةٍ في السَّاحاتِ السَّاخنةِ والميادينِ
المُتطاحنة، وتعلِّمُك الكتابةَ بالممارسةِ وطولِ حبايةٍ^(١) لقبضةِ يدِكَ
منقادةً بقلمِ المدادِ على الصَّفحاتِ البيضِ وإحالتها سواداً بالحبرِ
والألوانِ .. و.. و..

فللتَّقْبِيلِ فنونه السَّامِيَّةُ، ونظريَّاته القيِّمةُ، والمرتبطةُ بالأزمنةِ
والأوقاتِ والأمكنةِ والمطارحِ، والتَّقْبِيلُ ذو علامةٍ كيميائيةٍ مع تقبُّلاتِ
النَّفْسِ وحالاتها، وثورانِ القلوبِ وسكناتها، وتورُّداتِ الشَّفاهِ وانعكاساتها،
ومذاقاتِ الألسنةِ واهتزازاتها، وعواصفِ النظراتِ وهبوبها، وهمسِ
العيونِ وصمتها، هو علمٌ وفنٌ يُتطلَّبُ عبقريةً فذةً تُمنحُ أسبابها فطرياً في
عتباتِ مدرسةِ العفَّةِ والحلالِ، تتلمذين وتطوِّرينه بإشرافٍ غيرِ غافلٍ

(١) حباية من الحبو.

ولا منقطع من سيّديه: صدقُ العلاقة مع الحبيب، والإخلاصُ له،
 هما مدرّسا عبقرّياتِ الحُبِّ، وأحد أهمّ خبراءِ عِلْمِ التَّقْبِيلِ وَأَفْنَانِهِ،
 فالتحقني على عَجَل!



* كوني أنتِ ... *

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

نداءُ ربّانيّ ثانٍ تضمّنه نفسُ الخطابِ القرآنيّ، وتوجيهُ سماويّ
 آخر لإنجاحِ العلاقةِ الزّوجيّةِ، ولحفظِ بيتِ المحبّةِ والحُبِّ المُقدّسِ
 بالحفظِ في الغيبةِ، يعقبه توجيهُ نبويّ على لسانِ خيرِ البشريّةِ ومعلّمِها
 الأوّلِ محمّدٍ ﷺ، فيقولُ في الحديثِ الصّحيحِ الذي أخرجه أبو داود
 في سنّنه: «ألا أخبرك بخيرٍ ما يكنزه المرءُ، المرأةُ الصّالحةُ إذا نظَرَ
 إليها أسرّتهُ، وإذا أمرها أطاعتهُ، وإذا غابَ عنها حفظتهُ»^(١).

فكوني تلكِ الحبيبةِ المَعْنِيَّةِ بالتّوجيهِ الرّبّانيّ العالمِ بنوازعِ
 القلوبِ وخلجاتِها، فهو ربُّها وخالقُها.

(١) سبق تخريجه ص ١٩.

كوني تلك الحبيبة التي استقت من معين النبوة الشريفة، ففهمت مفهوم (الحفظة أو المحافظة) المقصود.

فما فرقت بين معانيه، بين سرٍّ وجهرٍ، ولا بين علمٍ ولا غيبٍ، الكلُّ سواءٌ بسواءٍ إن حضرَ الحبيبُ فعينُ الهيئةِ وشبُّها محفوظٌ، وإن غابَ الحبيبُ فغيابُه محفوظٌ وروحُ هيئتهِ محروسٌ من كلِّ عيبٍ ومكروهٍ.

أينما نزلتِ أو حللتِ، وأينما رحلتِ وأقللتِ، فصورته دومًا متجليةً، وهيئةٌ روحه ماثلةٌ لا تغيبُ لك عن عينٍ، ولا تهجر لك قلبًا... يُطاعٌ ولا يعصى أمرُه (المستطاع)، سواءً أكان سارحًا أو بارحًا، أو كان غاديًا أو رائحًا.

كوني الحبيبة التي تحفظ الأمانة التي استحفظك إياها الإله الحفيظُ، وأودعك إياها الربُّ العظيم، وهي على أركان عدّة:

- رُكنُ العِرضِ: وهو أهمُّها وأخطرُها، فصونيه على مبتذلٍ متطفلٍ، وعن كلِّ سارقٍ ليلٍ أو هاجمٍ نهارٍ، فهو مرآةُ الحبِّ المجلوةُ الخالدةُ فلا تغبريها بعفارِ المعاصي وغباريها، ولا تخدشي مرآها الصَّقيل بتلقّي خلساتِ المارقين وسرقاتِ الجوّالين على المحارم والأعراضِ المُحصناتِ الغافلات، لا تجودي على غيره بلفظةٍ ليّنةٍ غانجةٍ، ولا بنظرةٍ حانيةٍ ناعسةٍ، بقصدٍ أو على عزةٍ منك، واعلمي أنَّ ابنَ سيرين قال، وهو صادقُ القولِ ومصدِّق: (فضولُ النَّظرِ يدعو

إلى فضول القول، وفضول القول يدعو إلى فضول العمل) فتحلُّ بعدها
المأخوطة والحالفة والكارثة..

- رُكْنُ الْبَيْتِ: وهو أُسُّ الدَّفْعِ، ووعاءُ الحِياةِ الزَّوجِيَّةِ، وركنُها
الشَّدِيدُ، وحصنُها الحَصِينُ.

فكوني الحبيبة التي تغرس بالقول والفعل وشواهد حقه في
قلب حبيبها وعقله، وصلاح إدارتها لهذا البيت، وحفظ مكوناته
ومحتوياته، وحفظ عتبه ألا يدوسها إلا من يحب ويرضى هو، فحق
له عليك أن يروح وهو مطمئن القلب، خالي البال من الوسواس
الخناس ومن التياثة الناس، فلا تدخل بيته إلا من رضي، ولا يغزون
فراشه ولا يداسن من خدن قريب ولا بعيد من شأنه هتك الأستار
واستحلال الأعراض.

فاستحفظي ما أحلَّ الله له منك، وأبقيه طاهراً مطهراً من رجس
المرجسين، وفسق الفاسقين، وعبث الفجار، فلقد أحلك الله لحبيبك
بعقدة كتابه، وبأمر سنته في خلقه، فلا يسترك الشيطان فينقض ما
عقد الله بحبال المعصية وشباكها.

احفظي عشكم المغزول بحرير الحب الحلال المتين، والمحفوظ
بظلال الزوجة الوارفة الرفيفة، احفظيه من كل هدم وردم تتفنه معاوُل

المعاصي وأدواتها، ولا تتشري أرياشه بإبر الخيانة الحدادِ الماضياتِ مضاءِ
السُّكَّينِ في روحِ المياهِ السَّاكِنَةِ.

- الركن الثالث وهم الأبناء: نَبَأُ البَيْتِ ورياحين تحفظينهم
بعينٍ راعيةٍ ونفسٍ حانيةٍ وروحٍ معطاءةٍ حالمَةٍ، فالتنشئةُ الحسنَةُ على
كلِّ خلقٍ عظيمٍ وكلِّ منقبٍ كريمٍ، ثمَّ التَّربيةُ السَّليمةُ على منهجيةٍ
الدِّينِ، وبِما يتوافقُ ويضمنُ رِضىَ الإلهِ، ومن ثمَّ رِضىَ الحبيبِ،
ويكفلُ سلامةَ العقلِ والدِّينِ والبدنِ للوليدِ، أرضعهم ألبانَ التَّشْبُه
بوالدهم في كلِّ منقبٍ حسنٍ وسنةٍ خيريةٍ، ألقى بهم على بَسَطِ
الرُّجولةِ والبُطولةِ، وليدرجوا ويشبُّوا على أصولِ المروءةِ العظامِ،
فمن شبَّ على شيءٍ شابَ عليه، ومن صلحت بدايته حتى إذا غدا
فتياً تمثل بشراً سوياً.

- حفظ ماله الذي كدَّ وتعبَ حتى النَّصَبِ، وتعدَّبَ وتهجَّرَ من
أجلِ أن يكونَ رزقُه حلالاً طيباً، متعرِّفاً دون تَأْفُفٍ تحت لَفْحِ الشُّموسِ
اللاهبةِ، يرتجفُ حرّاً في حمّاماتِ الرِّمهيرِ مفترشاً ألواحَ الصَّقيعِ
السَّامِطَةِ دون تحسُّرٍ ولا تنكُّصٍ؛ ليطعمك حلالاً زكياً، وليضمنَ لك
حياةً هائلةً مُطمئنةً لا تنزعُها هبَّاتُ الفقرِ المُجتاحَةِ على صهوةِ الأيامِ
الغادرةِ، ولا تمحقها البلايا المنصبةُ من بطنِ السَّنينِ المُجدِبةِ.

جمع مآلاً من بين مخالب الأيام القاسية، ومن الفيافي الحارقة والصَّحاري الباردة من أجل إبقاء شريان الحياة لحبكما منها..

جمعه واستأمنك عليه واستحفظك، فذهبي به على غير إسرافٍ ولا تفريطٍ، وعلى غير قبضٍ ولا بسطٍ، بل هو التوسطُ، والاتزانُ، وتمثلي قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعَدَ مَوْتًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

لا تذهبن في الأمور فرطاً ولا تسألن إن سألت شططا

وكن مع الناس جميعاً وسطا

هذا المعنى البديهيُّ الظاهريُّ من هذا التوجيه الرباني، وهناك التوجيهُ الأعمقُ، والمنطويُّ عليه اللفظةُ القرآنيَّةُ ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾، فالقلوبُ من عالم الغيوب، وهي مكنُ الأساساتِ ومستودعاتها، فلا بُدَّ من تشييدها وترميمها واستصلاحها؛ لتكونَ صالحةً لحفظِ تلك الأمانةِ العظيمة؛ حتى لا يُصيبها ضررٌ، ولا يعتربها عورٌ، وحتى تكونَ على هذا الحالِ الذي يناسبُ ويليقُ بمثل هذا المقامِ لا بدَّ من إخضاعها لقانونِ (التَّخْلِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ)، التَّخْلِيَةِ فِي كُلِّ شَوَائِبِ الْمَاضِي، وأشواكِ المراهقاتِ العابرة، وطفراتِ القلوبِ الفتيَّة، وتقلُّباتها الغريزيَّةِ الأوَّل، فما سمَّيتِ القلوبُ قلوباً إلا لتقلُّبها وتحولها، ومن ثمَّ

تحليتها بالحلال الخالص الذي انعقدت عليه بعقدة النكاح الحلال،
 واستحلَّ الخاتمَ بشهادة الله وعهده وميثاقه، تحلّية القلب بحلاوة حبِّ
 الحبيب الخالص وربطه عليه دون تحوُّلٍ ولا تبدُّلٍ، وحرَق كلَّ ماضٍ
 في شعابِ النسيان، وقذفه في أوديته السَّحيقة ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
 تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

فخفايا الصُّدورِ وخباياها من الغيبات التي يجبُ أن تُنقَّبها
 وتُنقِّحها من كلِّ عوالتِ الحرام وهواجسه، وإلقاء فتات الماضي
 وفتلاته إلى مطارح الإهمال.

كما أنَّ خوائنَ العينِ وسرقاتها من عوالم الغيب التي لا يعلمها
 إلا الله ولا تخفى عليه، فلا نظرةً شاردةً، ولا رفةً رمشٍ عابرةً سافرةً
 أو غامضةً إلا محصيته في علم الله.

فاحفظي عليك ما أحلَّ الله لك، واسترعي الأمانة التي استودعك،
 تكوني تلك الحبيبة التي ملكت قلب الحبيب واستوطنته، وقرّة عينه التي
 لا يستطيع لها فراقاً، ولا يقوى على هجرٍ ولا بعادٍ..
 كوني أنتِ..



• هَمْسَةٌ..

لا يُؤَسَّسُ الْبَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ، بَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ..

* * *

* كوني مهده..

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

هذا القرآن الكريم المعجز بمضامينه العجيبة وببلاغة كلماته ومعانيها القيّمة الفاضلة، يصوغ لنا أحد أهمّ مفاهيم العلاقات الزوجية، ويصوّر لنا بروائعه البلاغية هيكلية البيت الروحي الذي تجتمع تحت مظلته وفي كنفه أقدس علاقة شرعتها الأحكام السماوية، بكلمات موجزة وبحروف لغوية نورانية غاية في البلاغة والإحكام يرسم لنا مشهداً منفرداً بجمال حيثياته وتفصيله على مسرح الحياة الزوجية الرّحاح ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وكأنك تجلس على مدرج الحياة أمام خشبات هذا المسرح، فتشاهد الحياة تنبثق من رحم الغيب، أنفس تلد أزواجاً وأزواج تنفتق من جنس الأنفس، فتتمثل عمليّة ولادة الحياة

وتتأبعا في مشهدٍ جليلٍ مهيبٍ، تنظرُ بتشوّفٍ دون أن يهشَّ لك طرفٌ،
وتجلسُ بخشوعٍ وكأنَّ على رأسِك الطَّيرَ، تُراقبُ المشهدَ والعمليةَ
بكلِّيتها، تتبعُ بعيونٍ مُحدجةِ الأنفُسِ وهي تلدُّ الأزواجَ، والأزواجَ
وهي تنغمسُ في مادَّةِ المودَّةِ والرَّحمةِ، ثمَّ تنزلُ لتسكنَ بعضها
البعضَ، ولتتخذَ من بعضها البعض سترًا ومأوىً، فهذا التَّمثيلُ عبارةٌ
عن تجسيدٍ وتشخيصٍ للمعنى القرآنيِّ الذي ألهمَ بغريزةٍ فطريَّةٍ نفسيِّ
الزَّوجِ والزَّوجَةِ (الحبيبِ والحبيبةِ) أن تحبَّ الواحدةُ على عتباتِ
الأخرى، ثمَّ تلجانِ في الرُّوحِ وعوالمِها النَّفسيَّةِ والماديَّةِ، ثمَّ تذوبانِ
ذوبانِ السُّكَّرِ في الماءِ، فتصيرانِ قلبينِ ونفسينِ تحيانِ بروحِ واحدةٍ،
فتتحصَّرُ المفارقاتُ، ويوقى من الاختلافاتِ، فيحبَّانِ ويكرهانِ الشَّيءَ
نفسه، وتفرحانِ وتغضبانِ بالدرجَةِ ذاتِها وبالشَّكلِ والحجمِ ذاتِه.

فكوني أنتِ.. مَنْ جلستِ بخشوعٍ، وتابعتِ بعينٍ بصيرةٍ،
وروحِ نديَّةٍ هذا المشهدَ المتجسِّدَ على أعينِ الخلقِ كلِّهم، فقررتِ
ولو بقليلِ علمٍ وقليلِ فعلٍ أن تصبِحي مهدَ الحبيبِ الذي يأوي
إليه الحبيبُ متعبداً سابحاً بروحِه ولحمِه ودمِه في رحابِ حُسنِكِ
المُتلائي، لينفِصَ على أعتابهِ همومَ الدُّنيا وشُرورها العاديَّاتِ.

واحدري أن تُشاركي الدُّنيا وتتاَمري معها بقسوةٍ لا ترحم،
وغفلةٍ لا تُعذر، وتتمرَّسي من وراءِ دروعِ الأعذارِ، فترميه من طوقِ

قوسها بالحُجَجِ الواهياتِ كلما دخلَ عليكِ، متمسكةً الأعدارَ العاريةَ دفاعاً عن الإهمالِ الذي خيمَ بظلاله المعتممة على وجهكِ وهيئتكِ، ودفاعاً عن التَّناسي المقصودِ أو غير المقصودِ عن مهمَّتِكِ الأساسيَّةِ في هذا الكيانِ المقدَّسِ كزوجةٍ وحبِيبَةٍ مهمَّتُها صناعةُ الجمالِ في مهدٍ لا يحتملُ إلا الجمالَ مهمَّتُها خلقُ أجواءِ الأنسِ الشَّفِيقِ المتعبِّدِ في مهدِ الزَّوجِيَّةِ بعد شعاعٍ وغبارٍ كثيبٍ، مهمَّتُها رسمُ ظلالٍ وارفَةٍ مدلّاةٍ من شُجيراتِ الحُبِّ الباسقاتِ، ومن أوراقِ الرَّحمنِ الخضرِ اليافعاتِ، ومن همساتِ المودَّةِ النَّديّاتِ، كلُّها ترفُّفٌ على روحه، وتهدهدٌ على نفسه، وتربُّتٌ على جسده، فَتَطْرُدُ لِعِاعةِ الدُّنيا ولوعتها بعدما حرقَ هجيرةَ النهارِ كدًّا وتعبًا يتلوى على شمسها المتلظِّيةِ تلوي الأفاعي المُلتهبةِ على الرِّمالِ المُلتهبةِ ..

* كيف لكِ هذا؟!

فقط بخمسة دقائق معدوداتٍ، فهي كفيلاً لينساب الحُبُّ في مساربِ الحياةِ الزَّوجِيَّةِ، ويحيي فصولها العطشى من كلِّ جفافٍ قد يعترها أو جذبٍ قد يتفشَّها.

كلُّ ما عليكِ فعله ضبطُ ساعتكِ بشكلٍ جيِّدٍ، والتَّصرُّفُ بدورةٍ دقائقها وتوانيتها بحسابٍ دقيقٍ وبأليَّةٍ منضبطةٍ لا عبثيَّةٍ، ولا تسويفيَّةٍ

تتوافقُ وموعِد رجعتِه للبيت (إلى المهد) تعطيكِ جرْسًا بنعمةٍ تقوُلُ ما بقيَ لعودتهِ إلَّا قليل، فهل أنهيتهِ التزاماتِ البيتِ وأشغاله وأجبتِ على متطلّباتِ الأولادِ وحاجاتهم، وأنهيتهِ النَّفْحَ تحتَ القدورِ، وأسكتتِ غليانها وفورانها.

نعمةٌ تناديكِ لإعدادِ نفسكِ وهيتكِ لهُ وله فقط، تناديكِ لتصنعي منكِ مهدهُ المتجمّلَ بأبهي صورِ الجمالِ وآياته، والمتفوقَ بأناقتهِ وعلى مهدِ طفلكِ المُدللِ، تناديكِ لتتزيّني لهُ زينةَ العروسِ المزفوفةِ إلى خدرها..

فإذا ما دلفَ عتبةَ البيتِ قابليه بعناقِ الشوقِ صورةً ولوحةً من الجمالِ، في عينيها شعاعُ فضيٍّ مبرقٍ، وفي تفاصيلها حُسنٌ ينعكسُ تياره الكهربائيُّ على مرآتهِ، فينسكبُ في أوصاله، وتلقفه الذراعينِ بطوقٍ لا ينفكُ قفله إلَّا بعدَ طولِ ضمّةٍ تكونُ قد أنستهُ عذاباتِ يومه وشؤمه، ولثمتهُ الشِّفاءُ بقبلةٍ دافئةٍ فتسري إيقاعاتُ أنفاسك في شرايينه، وتتدفقُ إلى أنهارِ دمه، وتعانقُ نبضاتِ القلبين، فيتقلبانِ في مهدكُم المقدّسِ على أرائكِ الحُبِّ الوثيرةِ كلَّ متقلّب، وتعالجين بهسيسِ أنفاسكِ كلَّ جزءٍ فيه حتّى يرضى، فيرقصُ طربًا على أجراسِ الحُبِّ المُرتعشةِ تحت أرجحاتِ الأضواءِ المتكسّرةِ خيوطها في حنايا مهدكُم المقدّسِ، فكوني أنتِ، التي تجعلينه يقفُ كلَّ يومٍ منك..

أمام حشودٍ من الصُّورِ الجماليَّةِ التي يطلقُها جهازُك هذا، المعقَّدُ التركيب، المملوء بمؤثراتٍ نفسيَّةٍ ومؤثراتٍ عضويَّةٍ، متشابكةٍ ومعقَّدةٍ، فتَهزُّ قلبه البشري، فلا يتمالكُ نفسه، ولا يتمالكُ إيقاعاتها المنوعة الأصداء، المنبثقة عن السِّرِّ الخافي وراء السِّترِ المُسبلِ بيدِ الله..



• هَمْسَة:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كوني أنتِ لباسه الذي يلجمُ هيجانَ غريزته، ويحبسُ نزوة قلبه، ويستترُ سرقة عينه، فلا تفيضُ أمواجُ غريزته إلا في بحركِ، ولا تتحرَّرنُ نزواته إلا في حضرتك، ولا تسقط سهامُ عينه إلا على بساطِ حُسينك.



* كوني شمسه ...

كيف لك أن تتعلمي من هذه المعجزة الكونية التي تتجلى لناظريك مع انبلاج الصُّبح، تقبل متثابرةً على أبصارِك، وتحشوا أرجاءها وأشياءها بروح الحياة، ثقلين من إنسٍ و جنٍّ، وشجرٍ وحجرٍ ورطبٍ ويابسٍ، كلُّ يسبحُ بحمدِ الله ويحمدهُ على الحياة بعد الممات.

كُونُ يتململُ بعد ركودٍ، وصبحٌ يتنفسُ، ونهارٌ يعيشُ بعد سرمديةٍ ليلٍ أغشى ..

شمسٌ لا تفتأ تدرعُ جوفَ السماء من انحداره الشرقيِّ الصاعد؛ حتى تتوسطَ قبته بسطوعٍ بهيٍّ، ثم تأخذُ هابطةً بتباطؤٍ غنجٍ على سفحٍ منحناه الغربيِّ مناسبةً ناعسةً حتى تشكّل شاطئَ الشفقِ المتماوجِ بألوانه الزاهية المحترقة عند فوهة الغيبِ الليليِّ ..

فكوني شمسه بوجهك الباسم المشرقِ إشراقَةَ الشمسِ المغسولةِ في حمّامِ صبحٍ نورانيٍّ يرسلُ إشعاعه فيدغدغُ الجفونَ المطبقة، فتشقُّ للأبصار، ويصبُّ أنفاسه على جسدٍ متفوقٍ في ذيلِ الليلِ فيحيا بعد موات، ويندفُ عليه بحروفِ حبٍّ من بين شفاهِ ندياتٍ، فيتثاءبُ ويتمدّدُ على طولِ خيوطِ النورِ الواصلةِ بين وجهين عاشقين ..

كوني شمسَه التي تولدُ كلَّ صبحٍ من بطنِ الغيبِ لتملاً قلبه حياةً
ونوراً، وتملاً بيته دفئاً ووضوحاً، ويتمأيلُ وحركة الشمسِ بسكينةٍ
وجلالٍ ملائكيٍّ حتى تدلفينَ بوابةَ الغروبِ متخذةً من حمرةِ الشفقِ
لخدودك لوناً، ومن برتقاليتهِ الخمريةِ لشفاهك زينةً وعطراً، فتكونُ
مصيدةً للقلْبِ.

كوني شمسَه التي لا تندسُّ في عباءةِ الليلِ لتذهبَ في عوالمِ
الغيبِ ومجاهله، بل شمسَه التي تفرشُ عباءةَ الليلِ؛ لتذوبَ فيه
ويذوبَ فيها حتى ينطفئَ الليلُ في عيونكم..
كوني أنتِ..



- فاصلة..

للغيرةِ وجهانِ وقلبان..

وَجْهٌ طاهرٌ بريٌّ يتغذى نظراً من قلبِ رزينٍ فهيمٍ رحيمٍ،
ووجهٌ عابسٌ مريٌّ يتغذى سواداً من قلبٍ متقلِّبٍ حسودٍ ظنينٍ..
فالأولُ: محمودٌ، مطلوبٌ أن تدفعك إليه، ونحرُّ صكِّ عليه؛ لتحصني

حَبَّكَ، وتحرسني عشك، وتمثلي قول الشاعر ضمنَ هذا المفهوم:

أغارُ عليك من عيني ومني ومنك ومن زمانك والمكان

ولو آني خباتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

والثاني: مذمومٌ مدحورٌ، وهو مرصدنا ومقصدنا في هذه

الفاصلة، فنهى عنه، ونزجره، ونفّر منه، ونهمسُ إليك فاسمعي.

كُلُّ الأشياءِ تسوقُك نحو التَّطَرُّفِ عندما تمشين مساربَ الغيرةِ

المعتمة، فتقودك إلى أنفاقها المغشية المظلمة، فتتهين في أعماقها

بصدرٍ يغلي كالمرجل، ورأسٍ يفور كالبركان متقيئاً حممه من قيعان

المحيطات وبواطن الأراضين.



* كوني لؤلؤته..

كوني اللؤلؤة المكنونة في محارِ الحُبِّ الصلبِ الذي لا

يملك مفاتحه إلا هو، ولا يفقه مفاتيحه سحرها إلا هو، ولا يستطيع

كشف أسرار جمالها وفضحها إلا هو، ولا يجيد عقل فك رموزها

وحل شيفرة تركيبها وتكوينها إلا عقله.

كوني تلك اللؤلؤة المصونة والمخبّأة خلف حجابِ الحبِّ
فلا تضيءُ إلا لانعكاساتِ عينيه الشَّعِيعَةِ، ولا تهيجُ بسحرِ تلويناتها
إلا خلجات صدره..

يا مَنْ نغارُ عليهم مِنْ ضمائرنا وَمَنْ نصورُ هواهم في تناجينا
كوني اللؤلؤة التي يُتقنُ التفتيشَ بين تفاصيلها، ويراقصُ أنفاسه
على أنغام دلالها وتمايلها، اللؤلؤة التي لو ظلَّ الزمانَ الأبديَّ يغوصُ
ويغوصُ ليسبرَ أعماقها وخفاياها، فلنَ يصلَ آخرًا، ولا نهايةً لعينِ نبعها
المتدفِّقِ بالجمال، وما شبعَت له عينٌ من نظرها، ولا سئمَ له قلبٌ من
وطر، فهي عينٌ فائرةٌ مائجةٌ بماءِ الحبِّ.



• همسة...

املئي نفسكِ خمرَةَ الحبِّ واتركيه يحتسيكِ حتّى آخر أنفاسِ
الصُّبح..



* كوني أغنيته ..

لكلِّ رجلٍ أغنيتهُ التي يجمعُ حروفَها من ملهَماتِ الدُّنيا وطبيعتها
المادِّيَّة والحسِّيَّة، ومن مُلهَماتِ الغيبِ والخيالِ ..

أغنيتهُ التي يشكُّلُ كلماتِها وتعابيرَها بحجمِ وتفصيلِ قالبِ
يختصُّ به، ويعزفُ ألحانَها بدنْدنةٍ أو بصمْتٍ على تنهَّداتِ قلبه ..

أغنيةٌ تولَّدُ معه من رحمِ الغيبِ، ويعيشُ طفولته في ثوبِ طفولتها،
ويشبُّ ويكبرُ في حشاياها كما تكبرُ هي في حشاياه، لكنَّها تطيرُ بعد أن
يواريه الشَّرى في الفُضاءاتِ العالِيَّاتِ البَعِيدَاتِ؛ لتعزفَها الرِّيحُ على أوتارِ
اللاعودة ..

فكوني أغنيتهُ التي يللمُ حروفَها من حكايا عَيْنِكَ، ويلوُّنها
من حمرةِ خديكِ المتورِّدين، ويطابقُ اهتزازاتها مع ارتجافِ شفَتِكَ
الملتهبتين، وينظُمُ صدرَها وعجزَها بتناسقٍ مع تعاريحِ شعركِ المبعثرِ
بارتجالٍ عفويٍّ، يرتَّبُ ويبيني عمودَها مشابهاً لقوامِكِ المصبوبِ في
قالبِ الإله، فامتشقَ كأنَّهُ عمودُ نورٍ أضاءَ بين السَّماءِ والأرض ..

كوني أغنيتهُ التي يكتبُ حروفَها وكلماتِها على رقاعِ عينيه
المصقولة، ثمَّ تلجُ إلى معاملِ الألحانِ القلبيَّة، ثمَّ تصدرُ عتمتهُ بسمفونيَّةٍ

رائعة كروعة التَّنْهَدَاتِ الْوَلَهِي، فيغنيها ترانيم نقيّة معسولةً من أسيادِ الدُّنيا
في صباحاتها البكريّة، وينشدّها شعراً لاهباً في نهاراتِهِ الْفَصْلِيَّةِ [يدفّئها
بأنفاسه شتاءً، ويعريها بعُلُوّ صوتِهِ صيفاً، ويُردِّدُها مراراً وتكراراً خريفاً
حتى لا تذرّوها رياحُه، ويجدّدُ ثوبها الغنّاء من خضرة الرِّبْعِ وأشْيائِهِ]
ويردِّدُها بصوته المكريّ^(١) النَّاعِسِ الْمُنْسَابِ فِي سَدُولِ اللَّيْلِ.

كُونِي أَغْنِيَتَهُ..

التي ليحيا ويرتشف عبقها ليطفئ ظمأ روحه ويشفي
غلة نفسه..

كُونِي أَغْنِيَتَهُ الْتِي يَمْتَطِي كَلِمَاتِهَا فَارِسًا لِلْحَبِّ، يَشْتَقُّ عَبَابَ
مَحِيطِ الْأَحْلَامِ، وَيَذَلُّ أَمْوَاجَهُ الْجَامِحَاتِ، وَتَعْرُجُ بِهِ إِلَى مَسَاكِنِ
النُّجُومِ وَمَسَالِكِهَا، وَمَرَابِضِ شَمُوسِ السَّمَاءِ وَأَقْمَارِهَا، فَيَنْشُدُونِ
مَعًا عَلَى مَسْرَحِ الْفَضَاءِ بِحُرُوفِ اسْمِكَ أَغْنِيَةَ الْحُبِّ الْمَقْدَسِ..
فَكُونِي أَنْتِ..



(١) المكري: من الكرى والنعاس.

- فاصلة..

يحاوُلُ الرِّجَالُ إخْفَاءَ حَبِّهِمْ وشوقِهِمْ وولهِهِمْ خَلْفَ حَوَاجِزِ التَّكْبِيرِ وَالتَّعَالِي، متوهِّمِينَ بِأَنَّهَا حَوَاجِزُ عَرِيضَاتٍ مَنِيَعَاتٍ، لَكِنَّهَا مَا تَلْبَثُ أَنْ تَنهَارَ عِنْدَمَا تَصدمُهَا سَهَامُ الشَّقِيقِ أَوْ تَصفَعُهَا حَرُوبُ الحُبِّ وَالعَزَلِ، فَيَتَحَوَّلُونَ بِفِيْزِيَاءِ الحُبِّ مِنْ مَادَّتِهِمُ الصَّلْدَةِ العَنِيدَةِ عَلَى التَّشْكِْلِ وَالتَّكْيِيفِ إِلَى مَادَّةٍ سَائِلَةٍ ذَائِبَةٍ عَلَى حَرَارَةِ الحُبِّ، فَيَسْهَلُ قَوْلِبْتُهَا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ.



* كوني حديقةً أزهاره...

كوني غيضة الغنَّاءِ بمنظرِ أزهارِها الضَّاحِكَةِ فِي أَكْمَامِهَا، كوني مساحتَه التي يحبُّ أن يَنَاجِي نَفْسَهُ فِي أَفْيَائِهَا، وَالتِّي لَا تَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يَغزوها فيَجول فِي رَحابِهَا، أَوْ أَنْ يَقفزَ مِنْ فَوْقِ أسوارِها لِيَدوسَ حِمَاها مُسْتَرْقًا السَّمْعَ وَالبَصَرَ.

تلك المَسَاحَةُ التي يَغرسُ فِي ثراها جَدورَ وَرُودِهِ وَأزهارِهِ، ثُمَّ يَعرِئُها وَتَشذِيبُها وَصِنَاعَتِها عَلَى عَيْنِهِ، ثُمَّ يَصُولُ وَيَجولُ آمَنًا مَطْمَئِنًّا أَنَسًا إِلَيْهَا، مَتَنَفِّسًا عِيقَ رِوَانِحِهَا الزَّكِيَّةِ إِذَا عَجَّجَتِ الفُضَاءاتِ

من حوله، وقارنًا من ألوانها وأشكالها سحر الكون وإبداع الخالق.

كوني حديقة أزهاره التي يرى الياسمين في رؤوس خدودها،
والقرنفل والجوري في حور محاجرها، ويرى النرجس في قرمزية
شفاهها، ويرى أعواد الزنبق في إبريق جيدها، ويشم العنبر والمسك
الراشح من حليب ذراعيها.

فالله قَوْمَكِ وحَلَاكِكِ بهيكل ملائكي، وجمع فيه إمكانيات لا
تُحصى بقياس ولا تعداد..

فلك خدود اشتَهت الورود ألوانها، وسوى لك ثغراً بابتسامة منه
يحيل الصَّعبَ سهلاً، ويجعل المستحيل مُمكنًا، وإذا فتر فعن صف من
الدَّرِّ البراق تلالؤًا، وشق من وجهك شفقتين ناهدتين ساءلهما العناب
عن دفيهما رغم ارتجافهما، وشق منه بحيرتين صافيتين تنبعان من قبة
السَّماءِ السَّابعة، وسيجها بسورين رمشيين دقيقين، وسربل رأسك
بشعر أصفر رجراج، أو أسود كسحابة الليل المُقمرة، تجدلينه ذُباب
وردية وعذائر زهرية، وبنى لك قوامًا من نور، ونفخ فيه من روحه
السَّرمديَّة لتبقى الورود تمتص من جذعه الحياة.

كوني غيضته التي حرمت على أهل الأرض قاطبة إياه، كما
حرمت شمس النهار على الليل، وكما حرمت قمر الليل على النهار.

كوني حديقتَهُ التي يتجولُ بخياله في ربوعِ جمالها، ويعصفُ
بحبِّه حتى يخترقَ محيطك، فتشققُ شطآنُه بانفراجِ القُبلات...

كوني عناقيدَ وروده التي تفتحُ لمغازلةِ عينيه، ولا تستجيبُ
صَمًّا إلا لذرَاعيه..

كوني روضته التي يرفلُ بالحبِّ بين صفوفِ أزهارها، ويتقلَّبُ
عليها عشقًا بين شمِّ و لثم.

كوني أزهاره ووروده التي تنتشي روحه على ضفافها، وتشرُّ
أنفاسه اللاهثة على ورقاتها العَطرات الخجلات..



• هَمْسَةٌ ...

إذا علمتِ قدسيَّةَ الزوجِ ومكانته العليَّة استفرغت له بياضاتِ
النَّهارِ وسوادَ الليالي حتى تلقينه طاهرةً كالغمام، صادقةً واضحةً
كالحقيقة بحُبِّك وجمالِك..



* كوني أنتِ ..

- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥].

- «الحياءُ شعبةٌ من الإيمان» حديث شريف^(١).

مرّةً أخرى تناديك السَّمَاءُ فاسمعي وَعِي، تناديك بخطابٍ رقيقٍ متينٍ يتناسبُ برَفَّتِهِ مع رَفَّتِكَ، ويتناسبُ بمتانتهِ وحفظِ عَفَّتِكَ وعروضِكَ، تناديك وفي نداءها دروسٌ وَعِبْرٌ، فتفكّري في قولِ الله تعالى: ﴿قَالَتَ لِأَلَا نَسْفِقُ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣].

وَقَفَّتَا بعيدياً عن مزاحمةِ الرُّجَالِ ومخالطتهم عَفَّةً وحياءً، وليتساقق هذا الفعلُ مع قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥] إنها لطباعٌ وفضائلٌ حميدةٌ، تزيد الفتاة حسناً وبهاءً، وتكسوها عَفَّةً ونقاءً..

فإن حَدَّثَتْ أو حُدِّثَتْ فمن وراءِ حجابٍ، وإن خَرَجَتْ فلحاجةٍ وضرورةٍ، وإن مَشَتْ فبعيداً عن شواطئِ المَحْذُورِ، تمشي مشيَ الحرائرِ في وضوحِ المُباحِ، مستحيةً متخمةً خمراًها في أدبٍ وحياءٍ وخفرٍ.

(١) أخرجه النسائي في «سننه»، كتاب الإيمان وشرائعه، حديث رقم (٥٠٠٦).

لا تراحم في مضائق الطُّرُقَات، ولا تَخْتلي خلسةً في زوايا
الأماكنِ المُعتمات، ولا تطارحُ القولَ بليّنٍ وتغشجُ فيطمع الذي في
قلبه مَرَضٌ.

إنَّه الحياءُ، أنزلهُ اللهُ من تحتِ عرشه لِيسترَ به أساسَ الحياةِ
وسرَّها (المَرأة)، وليجعلهُ لها درعاً تقيها من العيونِ اللصلاصَةِ
السَّرّاقَةِ، وليحفظَ شرفها وعفَّتَها من سوءِ ظنِّ الأبالسةِ وشياطينِ
الإنسِ والجنِّ..

إنَّه الحياءُ الذي جعلهُ اللهُ دليلَ الخيرِ كلِّه، ولقد قالوا: «بأنَّ
الوجهَ المصونَ بالحياءِ كالجوهرِ المَكُونِ في الوعاء»، لا ينالهُ إلاَّ
من استحلهُ بأمرِ اللهِ، وتملَّكهُ بحقُّ اللهِ..

إنَّه الحياءُ الذي يضبطُ قوانينَ الدُّنيا، فيكونُ صمَّامَ الأمانِ
بها من المعيباتِ والبلايا، فإذا ذهبَ هذا الحياءُ حلَّ البلاءُ بالدُّنيا
وأهلها، ولا يرتفعُ إلاَّ على أعقابِ هلاكها..

إنَّه الحياءُ الذي يحفظُ جمالك، ويضفي بظلاله على حبِّك،
وهذه تربيةٌ لا تنفكُ ولا تنفصلُ، فالجمالُ بلا حياءٍ وردةٌ بلا عطرٍ
كما قال يوشكين.

يكادُ حياءُ المرأةِ أن يكونَ أشدَّ جاذبيَّةً من جمالِها.

(مَقولَةٌ يابانيَّةٌ)

الحياءُ عندَ الرَّجُلِ مرُضٌ خطيرٌ، وعندَ المرأةِ فضيلةٌ كُبرى.

(آدم سميث)



* كوني كتابه..

قالوا: «خير جليسٍ في الزَّمانِ كتابٌ»..

إنَّ للكتِّبِ نعمًا عظيمةً وفضائلَ جمَّةً، نمطي صهواتها فترحلُّ بنا عابرةً مسالكَ العقولِ، ونركبُ سفنها فتخوضُ بنا عبابَ محيطِ الأفهامِ الهادئِ المُتلاطمِ، ونتصفَّحُ أفهامَ الآخرينَ ونقرأ رؤوسَهُم عندما نتحسَّسُ صفحاتِها بأبصارِنا، وهي التي تجمعُ بين دفتيها وتَحشُو في أحشائها أحاسيسَهُم ومشاعرَهُم السَّاخنةَ الثَّائرةَ، فتقدِّمها لنا في صورِ صامتةٍ منتظمةٍ؛ ليحيوا على تفاصيلِها وخطوطِها بعقولِنا وفتقاتِها، وتلوِّكُها ببطءٍ حتَّى تدرجَ على شواطئِها متقمِّصةً أحيانًا ومتمثلةً أحيانًا أخرى، فهي كنوزٌ تفيضُ دونَ ضنٍّ ولا تقتيرٍ أو انتظارٍ ردِّ جميلٍ.

فإذا علمتِ الخبرَ يا سيِّدتي سعتِ حتمًا منافحةً ومُحاربةً لتدحري

هذا الكتاب، وتحتلّي مكانه وزاويته، فتجعلني الحبيب يتصفّحك، ويتنقل بين تفاصيلك وشواطئك على مدار الأزمنة الليلية والنهارية، وعلى سعة الأمكنة والمساحات وضيقها.

عبي عقلك، وأثريه علماً وثقافةً، وحيزي من كل فنّ ولونٍ ليتحصن لسألك بسيف البيان وخلاصة الكلام فيدرب بندوة السحر، فيمتص إفتار روحه من عروق البيان الراشحة لذة الخطاب، ويهمس لسألك بتجسس الليل وانغلاق سحابتة على عنق الكون، فيحتسي قهوته بطعم اللعاب اللامع على شفاهك الهامسة بالحُبّ..

كوني كتاب الجمال فائق الروعة والكمال برسومه وصوره وروحه وحروفه، ولا تركميه في خزائن الأيام المغلقة، ولا تلقي به على رفوف الإهمال لتعلوه أكوام النمش والتجاعيد، وتمسحه ألوان التعب والنسيان، وناجيه بجلوة في الصبح وفي المساء، ودغدغيه بحركة باحثة عن الجمال وأسراره في طوايا الكون السماوية والأرضية، لتأخذي من النجوم الأضواء والإخبات، وتعلمي من القمر تحولاته الشهريّة المزيّدة في جماله ونوره حتى يصير بدرًا متلألئًا، ومن الليل سكونه الوقور، ومن الإصباح وضوحه البهيّ، ولتتعلمي كيف تشكّل الورود نفسها، وتزيّن بألوانها وتفنن في صناعة عبقها وعبيرها، ومن الأشجار أثمارها اليافة.

تأخذينَ من كلِّ شيءٍ جميلٍ جوهرَةً وصفاتِهِ، فتصنَعينَ من نفسك كتابًا بصفاتٍ ومقاييسٍ راقيةٍ جميلةٍ ترقى إلى آمالِ الحبيبِ وتطلّعاتِهِ المتعلّقةِ بالجمالِ وعلومِهِ، وتخططينَ بعقلِكَ الحكيمِ وفهمِكَ السليمِ وإمكانيةِ التّحكُّمِ في خلقِ حالةٍ من الجمالِ الخَلْقِيِّ والخُلُقِيِّ، الروحيِّ والماديِّ، دائمةً وثابتةً في إطارٍ لا ينخفُضُ منسوبُهُ عمّا تتطلّعُ إليه عيونُ الحبيبِ، وتشأفُ إليه روحُهُ.

تخطّطينَ بحكمةٍ قادرةٍ على مواجهةِ خرابيشِ الزّمنِ التي تغزو مسحةً وجهك الوضيءِ الجميلِ، وقادرةٍ على مواجهةِ حرابِ السّهرِ المُنهكةِ لمحاجرِ عينيكِ وأهدابِها، وقادرةٍ على إبادةِ ديدانِ الكيمياءِ والفيزياءِ المغتالةِ لشعركِ، وقادرةٍ على قمعِ أثقالِ الأيامِ وإشغالِ اللياليِ المُقتاتةِ على قوامِ هيئتِكَ المهندَسِ بيدِ الصّانعِ البديعِ، وتسلّحي بحكمةٍ قادرةٍ على ردِّعِ ضباغِ الغيرةِ وقتلِ شياطينِ الجهلِ والحسدِ وجنودِهِما العابثةِ.

كوني كتابه الذي ملئ بحره الزّاهر بملفاتٍ علميةٍ وإبداعيةٍ من كلّ المجالاتِ والفنونِ، فإذا ما فتحَ ملفَ الجمالِ وجدَ صورَهُ وحروفَهُ وأشكالَهُ وفنونهُ متمثلةً في هيئتِكَ الملائكيةِ، ووجدَ الآياتِ الدّالةِ على إبداعِ الخالقِ الذي أودعَ سرَّ الجمالِ الإلهيِّ فيكَ أنتِ، ففي وجهك

الطَّاهِرِ كَسْحَابِيَةٍ، التَّقِيَّ كَحَبَّةِ الْمَطْرِ يَكْمُنُ سِرُّ إلهِيٍّ فَسُبْحَانَ الَّذِي
سِوَاهُ وَهَنْدَسَهُ هَنْدَسَةً تَلِيْقُ بِقَدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَجَعَلَ مِنْهُ آيَةً رَبَّانِيَّةً جَمَالِيَّةً
مُتَنَازِمَةً بِقَالِبِهَا مَعَ إِيقَاعَاتٍ عَلَى شَاطِئِ سِرِّ الْحَيَاةِ وَكُنْهِ الْوُجُودِ.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ وَتُرْهُدَى﴾ [طه: ٥٠]، أَعْطَيْتَ صُورَةَ بَدِيعَةٍ
تَرْقَى بِكَ إِلَى مُسْتَوَى سَامِقٍ، وَتَفْتَحُ لَكَ حِجَابَ الْمَحْرَابِ الْقُدْسِيِّ،
فَفِيكَ أَنْتِ صَنَعُ اللَّهِ تَجَلَّى بِقَدْرَتِهِ، وَفِيكَ رُوحُ اللَّهِ النُّورَانِيَّةُ تُسْرِي،
فَتَضِيءُ الْأَطْرَافَ مِنْكَ، وَتَشْرُقُ فِي عَيْنِي الْحَبِيبِ حَتَّى يَوْمَ أَنْ بَانَ اللَّهُ
جَمِيلٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْجَمَالَ، وَطَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، فَيَصْبِحُ مَسْبَحًا
بِحَمْدِهِ، مَهْلًا بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، فَيَخِرُّ سَاجِدًا شَاكِرًا.

كُونِي كِتَابَهُ الَّذِي يَقْرُؤُهُ دُونَ مَلِيٍّ، وَيَحْتَضِنُهُ دُونَ سَامِيَةٍ، كُونِي
كِتَابَهُ الَّذِي يَقْرُؤُهُ فَيَرْجِعُ بِزَادٍ شَعُورِيٍّ تَفِيضٌ بِهِ جَوَانِحُهُ وَتَزْخُرُ بِهِ رُوحُهُ.
كُونِي كِتَابًا يَنْظُرُ فِي صَفْحَاتِهِ بِتَبْتُلٍ، فَيُؤَوِّبُ قَلْبَهُ بِرُصِيدِ جَمٍّ مِنْ
تَأْمُلٍ وَتَدَبُّرٍ وَنَظَرٍ، كُونِي كِتَابًا يَقْلُبُ بِتَقْلُبَاتٍ قَلْبَهُ صَفْحَاتِهِ، وَيَرْقُبُ
كَلِمَاتِ سَطُورِهِ وَحُرُوفِهَا، فَتَعَالِجُ كُلَّ جِزْءٍ فِيهِ.

كُونِي كِتَابَهُ الَّذِي يَأْنَسُ إِلَيْهِ وَيَأْوِي، وَلَا يُغْلِقُ عَيْنَيْهِ إِلَّا عَلَى
مَشْهَدٍ مَأْنُوسٍ وَصُورٍ وَظَلَالٍ تُشَعُّ مِنْ عَيْنِكَ فَائِضَةً بِجَمَالٍ مَعْرُكٍ

في الحسِّ والوجدان، حتَّى يقولَ خيرُ جليسٍ في الزَّمانِ حبيبٌ..
وفتاة صبَّ الجِمالَ عَلَيْهَا بِحَدِيثِ كَلَّةِ النَّسَّوانِ



• هَمْسَةٌ ..

إذا عشنا خارجَ دوائرِ الحُبِّ وأفلاكِهِ فنحنُ نعيشُ في عراءٍ
باردٍ مُخيفٍ، لا سقفَ لَهُ ولا أرضَ، بل هو حواءٌ فضائيٌّ ذو آفاقٍ
ضيقَةٍ مُظلمةٍ.



* كوني أنت ..

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠].

خطابٌ ربَّانيٌّ، وحلقةٌ توجَّهتُ أُخرى، تأتي في سياقِ سلسلةِ
التَّوجُّهاتِ السَّماويَّةِ المُشتمَّةِ للفتاةِ ونصفِ البشريَّةِ الأهمِّ؛ لتصلِّقَ
صفاتها وطباعها، ولتشكِّلَ قالبَ عفتِها المتعدِّدِ المُحتوياتِ
والتَّراكيبِ؛ ليتناسقَ وجوهرُ الفطرةِ الإنسانيَّةِ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ
مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾ ثُمَّ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ
مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴿٣٣﴾ [النور: ٣١].

حملةٌ من حملاتِ الوحي تنزلُ على حواءِ الدُّنيا، فهي مناطُ التَّوجيهِ والاهتمامِ الإلهيِّ، بهدفِ زرعِ بذورِ العَقَّةِ والطَّهارةِ السَّماويَّةِ في أحشاءِ دُنيا النَّاسِ وطبيعتهم البشريَّةِ، وبهدفِ تَشكيلِ ورسمِ لوحَةِ من الجَمالِ العذريِّ البريءِ من كلِّ لوثٍ لتكونَ الوجهَ الأبيضَ الشَّفِيقَ للأرضِ في عيونِ السَّماءِ.

لوحَةٌ تغضُّ البصرَ عن المحارمِ والحُرُماتِ، فلا تفتنُّ النظراتُ بسحرِها، وتسدُّ ذرائعَ الفسادِ في وجهِ سراقِ البصرِ المتسوّلينَ على حدودِ الله وحرَماتِهِ، وتقطعُ كلَّ سبيلٍ موصلٍ إلى حُفْرِ الذُّنوبِ على سَهْمِ نَظَرَةٍ خاطفةٍ ناعسةٍ أو جاحظةٍ تكشفُ أسرارَ القلوبِ الضَّعيفةِ والمريضةِ، وغيرِ القادرةِ على النَّزالِ والعراكِ في ساحاتِ الحُبِّ المُحرَّمِ والنِّزواتِ المتعدِّيةِ القاتلةِ، وقد قيلَ في سالفِ «النَّظَرَةُ سَهْمٌ سَمٌّ إلى القلبِ»، وكما قالَ رسولنا الكريمُ مُحَمَّدٌ عليه أتمُّ الصَّلَاةِ وأزكى التَّسليمِ: «إِنَّ النَّظَرَ سَهْمٌ مِنْ سَهَامِ إبليسِ مسمومٌ، من تركَهُ مخافةَ الله أبدلَهُ اللهُ إيماناً يجدُ حلاوتهَ في قلبِهِ»^(١)، فكوني أنتِ من

(١) أخرجه الحاكم في «مستدرکه»، حديث رقم (٧٨٧٥)، والطبراني في «معجمه الكبير»، حديث رقم (١٠٣٦٢).

تَلَقَّتْ تَوْجِيهَ رَبِّهَا بِقَلْبٍ خَاشِعٍ مُؤْمِنٍ، وَسَلَّمَتْ لِحَطَابِهِ، فَقَصَّرَتْ
بَصَرَهَا وَبَصِيرَتَهَا عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهَا مِنْ زَوْجٍ حَبِيبٍ وَرَفِيقٍ دَرَبٍ،
وَرَضِيَتْ قَانِعَةً بِاِكْتِحَالِ عَيْنَيْهَا مِنْ مَعَانِي رُجُولَتِهِ وَخَلْقِهِ وَكِرْمِهِ
وَحُبِّهِ لَهَا، وَلَمْ تَشُدَّ الْقَوْسَ لِعَيْنَيْهَا فَتَرْمِي سَهَامًا مُتَابِلِسَةً عَنْ يَمِينٍ
وَعَنْ يَسَارٍ، فَإِنْ أَصَابَتْ فِي مَقْتَلِ عَفَّتِهَا وَشَرَفِهَا رَسَتْ، وَإِنْ خَابَتْ
فَخَيْبَةُ النَّزْوَةِ الَّتِي تَعْمَرُ طَوِيلًا فِي ثَوْبِ مَرُوعَتِهَا وَحِيَايِهَا الْمَشْقُوقِ
وَالْمُثَقَّبِ، وَفِي زَوَايَا الْخِرَابِ الَّتِي عَصَفَتْ بِأَرْكَانِ بَيْتِ كَانَ اللَّهُ قَدْ
بَنَاهُ بَعْقَدِ بَيْنِ حَلَالٍ، وَأُسِّسَ عَلَى سُنَّةٍ مُحْكَمَةٍ طَاهِرَةٍ، خِرَابٌ قَوْصَ
بَيْتِ الْحُبِّ وَهَدَمَ بِنْيَانَهُ الْمَرْصُوصَ، فَسَكَنَتْهُ شَيَاطِينُ الشُّكِّ رَاقِصَةً
مَعْرَسَةً عَلَى أَنْقَاضِ الْمُرُوعَةِ الْمَمْرَقَةِ، وَالْعَفَّةِ الْمَطْعُونَةِ فِي عُمُقِهَا.

سَيِّدَتِي.. (النَّظْرُ بَرِيدُ الزَّانِي)، الْإِيْمَاءُ مِرْسَالُ الْقُلُوبِ، وَالنَّظْرَةُ
مِرْسَالُ الْعَيُونِ، وَالخَيْطُ الَّذِي بَيْنَهُمَا إِبْلِيسُ مَنْقُوعٌ بِالسُّمِّ الزُّعَافِ،
يَهْجُمُ بَعْنِفٍ وَخَفَّةٍ فَيَخْتَرِقُ دَائِرَةَ الْبَرِيدِ (الْعَيْنِ) ثُمَّ يَتَسَرَّبُ السُّمُّ إِلَى
مَسَارِبِ الدَّمِ وَمَجَارِيهِ؛ حَتَّى يَتَجَمَّعَ وَيَتَكَتَّلَ فِي عِزْفَاتِ الْقَلْبِ،
فَيَبْدَأُ الْقَلْبُ بِامْتِصَاصِهِ وَتَشْرِيهِ تَشْرُبَ الْأَرْضِ الْعَطْشَى لِلسَّرَابِ
(فَلَا يَغْنِيهَا مِنْ عَطَشٍ، وَلَا يَثْقُلُهَا مِنْ خَضْرَاءِ وَزَخْرَفِ)، لَكِنَّهُ يُولِّدُ
بِذُورَ الشُّكِّ السَّائِلَةِ، فَإِنْ نَمَتْ نَمَتْ شَجَرَةٌ خَبِيثَةٌ فِي أَوْدِيَةِ الْحَرَامِ

السَّحِيقَةَ، مطرودةً مجثوثةً من أرضِ العَفَّةِ وأتربةِ الشَّرَفِ، فما لها من قرارٍ إلَّا في قعرِ جهنَّمِ وبئسَ المَصِيرِ، فحذارِ حذارِ، حذارِ من عينِ بائقةٍ بعهدِ الله العَفِيفِ وميثاقِهِ الشَّفِيفِ..

ألم ترَ أنَّ العَيْنَ للقلبِ رائدُ فما تألَّفُ العَيْنانِ فالقلبُ آلفُ
فَلتَأَلَّفِ العَفَّةَ ليتدفَّقَ القلبُ بها، ولتَأَلَّفِ خطابَ الله لتهدأَ ثورةُ
القلبِ الجامحةُ، فيسكُنَ هادئًا مطمئنًّا في رحابِ العَفافِ والكَمالِ.
كوني أنتِ.. من سقطَ لحظُّها سهوًّا أو نازعتُها نزوةً بشهوةٍ
فغَضَّتْ طرفها حياءً وامتنانًا لأمرِ الله، كوني من فقَهتُ قولَ سيِّدِها
رَسُولِ الله عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، معلِّمِ الأخلاقِ الحَمِيدَةِ والتَّامَّةِ مُحَمَّدَ
وهو يُتلمذُ عليًّا رضيَ اللهُ عنه: «يا عليّ لا تتبَعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ
الأولىَ وليسَ لَكَ الأخرى»^(١).

يا هذه.. إنَّما لَكَ الأولى إن كانتِ عذراءَ بريئةً، فلا تهتكِي
براءتها بأخرى فتكونِ بريدَ الشهوةِ المَقروءةِ بخلسةٍ وخيفةٍ، وبلحظاتِ
الشَّفاهِ المُرتعدةِ والمترجمةِ بِلِسانِ الحَرَامِ وحِرابِهِ المُتبادلةِ..

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر،
حديث رقم (٢١٤٩)، والترمذي في «سننه»، أبواب الأدب، باب ما جاء
في نظرة الفجاءة، حديث رقم (٢٧٧٧).

أشارتَ بطرفِ العينِ خيفةً أهلِها إشارةً مذعورٍ ولم تتكلمِ
 فأيقنتُ أنَّ الطرفَ قد قالَ مرحبًا وأهلًا وسهلاً بالحبيبِ المتيّمِ
 يا أختاه.. غُصِّي الطَّرْفَ واخفِضيه، فذلكَ أذكى وأتقى لدينك،
 وأطهرَ وأعمَرَ لقلبك، وأبعدَ وأقصى عن مطارِحِ الدَّنَسِ والعبثِ في
 حُرُماتِ الفِطْرَةِ.

يا أختاه.. إنَّما هي القناعةُ بما قسمَ اللهُ لك، فأرزاقُهُ مقسومةٌ
 بين عبادهِ بميزانٍ لا يعلمُ مقاييسَه إلا هو، ولا يعلمُ مُفاصلتهِ ومُمَايزتَه
 إلا هو.

فالقناعةُ حصنٌ، مَنْ لجأ إليه نجا وعفَّ، ونظرةُ الحلالِ والقنوعِ
 بها تورثُ حلاوةً في القلبِ، وأثرًا حميدًا في الأولين والآخرين،
 وطيبَ ذِكْرٍ وحسنَ سيرةٍ في الخاصَّةِ والعامَّةِ، ولنظرةِ الحرامِ شرارةٌ
 شرٌّ تشعلُ نارًا تتأجَّجُ، يطالُ لهيبُها الأخضرَ من أزهارِ العفَّةِ والشَّرَفِ
 والمروءةِ فيأتي على آخرها، وتبقى سيرتُك أرضًا قاحلةً محروقةً،
 وساحةً ترتعُ في فيا فيها المُقفرةُ أشواكُ التَّشْفِيِ الإنسيِّ، وأشواكُ
 القهرِ القلبيِّ، وأشواكُ النَّدامَةِ والحسرةِ التي تُشقي ولا تبرى، ولا
 تُعيد ساعةَ الزَّمنِ إلى الوراء، فما مضى من زمنٍ جميلٍ وحياةٍ هانئةٍ
 سعيدةٍ قد ولى.

يا سيدتي .. النَّظْرُ أَوْلُهُ قَدِ يورِقُ، وَلَكِنْ آخِرَهُ يَحْرِقُ، وَلَقَدْ قَالَ
ابنُ سيرين: فَضُولُ النَّظْرِ يَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْقَوْلِ، وَفَضُولُ الْقَوْلِ
يَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْعَمَلِ ..

كم نظرة فتكت في قلبِ صاحبِها فتك السَّهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ
وعندها تحل الكارثة التي لا تبقي ولا تذر، فاحذري وتمثلي قول
الشاعر ليكون لك بمثابة جرس يقرع كلما هجست في طراك نزوة فيندرك
على عجل ... ويوجب عليك إغضاء الطرف وصرف النظر سريعاً، فإنه
أمانة الله لديك وأمانة الحبيب عليك فاحفظيها ظاهراً وباطناً.
ليس إغماض العين وإطباق جفنها بل اجعليها خافضة الطرف من حياء
• هَمْسَةٌ ..

وهجُّ الحُبِّ له قدحٌ مشعُّ في العيون، وله لونٌ متموجٌ مُنْفَرِدٌ
ينعكسُ في أحضانِ المحاجرِ وعلى رؤوسِ الوجنات ..



كيف تجعلينه..

يرى فيك ماضيه ومستقبله وحاضره، أمنيّة ماضيه، وطموح
حاضره، وحلم مستقبله؟!

كيف تجعلينه..

يهيمُ عشقًا في محتوياتك الأثويّة، ويبتُّ ليله متبتلاً في محراب
جمالِك الأثويّ الخلاب، ويبعثُ صبحًا مستبشراً منشراً مترنماً
بألحانه العشيقة الشّعوفة المُناسبة بينَ لفائفِ شفاهه المتورّدة بألوان
وجتتك الناهدتين؟!

كيف؟!

لكِ هذا إن كنتِ آخرَ ما سجّلتُهُ لغاتُ الجمالِ في قواميسه،
وآخرَ ما أنتجتُهُ قوالبه الفكرية لهيئة أنثى، وآخرَ ما رسمته ريشة أقداره
على لوحة السماء، وإن كنتِ آخرَ ما أطربَ أسماعه على همسات
ولعها اللعوب، وتمايلها المُدلل، وشغفها المصبوب مع ريقِ اختلاج
واعتلج في صدره الفائرِ صبايةً إلى عناقٍ لا تطفئُ ناره غطشة ليل، ولا
تقطعُ وصاله وضحة نهار؟

* كوني أنت ..

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

مرةً أخرى تناديك السَّمَاءُ، وتطرقُ سمعك بما هو خيرُ الدُّنيا والآخرة لك، فشنتفي الأذن، وألقي السَّمْعَ فهو شهيد.

ألا ترين أن الله عزَّ وجلَّ يردُّ عليك بتوجيهاته ويرسمُ لك طريقاً مستقيماً معبداً إذا ارتقتيته فلن تضلِّي أبداً، ولن تنحرفَ بك الأهواء، يردُّ عليك رعاية المحارِ لؤلؤته المكنونة، ويغارُ عليك غيرته على حدوده وحرمانته، فكوني كما أراد لك تلقين مَنْ أعدَّ لك، قرِّي في بيتك، ولا تكوني خراجةً ولاجةً، تخرجين من البيت وتدخليه كلَّ حين، فالمرأة عزُّها في بيتها، وجمالُ كرامتها في جوفِ حصنها الذي يحرسها حراسة المحارِ لؤلؤته...

قال رسولُ الله ﷺ: «من قعدت منكناً في بيتها فإنها تدرِكُ

عمل المجاهدين في سبيلِ الله تعالى»^(١).

إنها العقدة البيئية التي تحفظُ لك عفتك، وتسدُّ عليك ستركِ وتعفيه (من العافية/ الكثرة)، وإن كان لا بدَّ من الخروج، فخرجْ للضرورة وضمن ما أباحه الشرعُ وأصله، بعيداً عن تبرُّج الجاهلية

(١) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار، باب النكاح، باب من أطاعت زوجها.

الأولى الذي وصفه وفسره قتادة بقوله: إذا خرجن من بيوتهن كانت لهن مشية تكسر وتغنج فنهى الله عن ذلك.

وقال ابن العربي: رأيت في الأقصى (فلسطين) عفاف لم يخرجن منه حتى استشهدن.

فكلها دعوات مهتمّة بك أنت، يعلمها الواسع بقيمتك الكبرى في هذا الوجود، ويعلمها بشفافيتك ورقّتك التي يجب أن تحرس وتُصان من كل دنس ودرن، قد يعلّق بها في ذهابها وإيابها، والشيطان يتربّص بها الطُّرقاتِ والأسواقِ، ولقد قال البزار بسنده عن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»^(١).

فكوني سيدتي من سمعت فوعت، ومن خوطبت فأجابت فرضي الله عنها، ومن ثم رضي الحبيب عنها، وعاش لها ومن أجلها، فالله يأبي عليك، والحبيب يأبي عليك أن تكوني سيّارة دوّارة في تعرّجات السُّبُلِ، تعلق بك سهام الأبالسة والشياطين، أو محطّة متنقّلة تهبط عليك نظرات العابثين.

وإن كان لا بدّ من الخروج، فخرج مجلبب مستور ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ﴾

(١) «مسند البزار»، حديث رقم (٢٠٦١)، وأخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب الصناعات، حديث رقم (١١٧٣).

قُلْ لَّا أَرْوِيحَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ
أَدَّتْ أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فجلبابُكِ درعٌ رادعٌ لكلِّ النَّظراتِ الْمُتطفلةِ، ودليلٌ عليكِ كافيكِ
بمَعونةِ الله وقدرته من كلِّ عابثٍ متربِّصٍ ومريضٍ مغرضٍ، فلا تُلقِي
جلبابك لِيَتَلَبَّسَكَ السُّفُورُ وَيَلْتَهَمَكَ الفُجُورُ، فأنْتِ بدونِ جَلْبَابٍ كالوردةِ
بدونِ أشواك، فهذه تَتَطَفَّلُ عليها ديدانُ الأرضِ وحشراتُها، وهذه يَتَطَفَّلُ
عليها أرخاصُ الناسِ وأدنياؤُهُم، ولكِ فيها عبرةٌ لِمَا قال عنها النَّابغةُ في
شعره:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرُدِّ إِسْقَاطَهُ فتناولتهُ وَاَتَقَتْنَا بِاليدِ

* كوني أنتِ ..

تقول النساء: الرِّجال لا تؤتمنُ بوائِقَهُم ..

وقلن: «يا مأمَن للرجال يا مأمَن للميِّ في الغربال».

أقول: يؤتمنُ الرَّجُلُ وَيَقْنَعُ إِذا ..

- جعلتِه يكتُبُ في دفاترِ أَيامِه وصفحاتِها أَنَّكَ آيةُ الحُبِّ التي تعلمُ

ترتيبها في مدارسِ جمالِك، وردد حروفها، وما زال، بين أدراجِ الكَتاتِبِ

وصُفوفها ودوائرِها المُتقوِّعة على خريطةِ شبحِك وجسدِك الغَضِّ ..

وإذا..

- جعلتني ينقشُ في أعماقِ ذاكرته القريبة والبعيدة أنك أنت اللوحةُ الإلهيَّةُ التي خُلِقَتْ من أجلِ أن يعبثَ بريشته المولعة عشقًا وهيامًا في تفاصيلها، ثمَّ يعيدُ ترتيبها وتنظيمَ ألوانها بصبِّ دَفَقَاتِ وَلَهه، فيخلقُ خلقًا في بطنِ خلقٍ، ويرسمُ صورةً في وجهِ صورةٍ كلها أنتِ، فيبقى أسيرَ حبِّ بريشته تلك التي سَوَّتِك من جديدٍ على رغبةٍ من قلبه وروحه، بعدما كان أسيرَ حمْدٍ وشكرٍ لأقدارٍ صاغتهُ في أحسنِ تقويمٍ ليليقَ بكِ وقد أنشأتكِ الأقدارُ إنشَاءً، وجعلتكِ عُرْبَةً مقصورةً في قبابِ الحُبِّ المقدَّسِ.

* * *

* كوني دثاره..

ولك في خديجة أمك آيةٌ، ومنها إليك رسالة..

«فهي التي سترت لما انكشف، وزممت لما ارتعد، ونصرت لما انتكس»^(١).

فكوني دثاره من نائباتِ الدهرِ وبائقاتِهِ، وظلَّهُ من شمسِ

(١) الغزالي / السيرة.

صيفٍ تطلّى، أو (من ليلةٍ باردةٍ قارصةِ الجوِّ لافحةِ السِّبرات).

كوني دثاره الذي يترقبُ القوقعةَ في جوفه ترقبُ المَقرورِ
أشعةَ الشَّمسِ، والطَّامئِ ديمةِ المطرِ..

كوني دثاره الذي يحنُّ إليه حنينَ الليلِ إلى وجهِ الصُّباحِ، والجذبِ
إلى ديمةِ المطرِ..

كوني دثاره في هذه الحياةِ التي لفتَّ شملهَ بشمليكَ، وخلصتْ
نفسه بنفسك وحوّلتْ قليكُما الكسيرين إلى قلبٍ واحدٍ أو حد عاشق.

كوني دثاره إذا ما أنشَبَ الدهرُ في ظهره مخالبه، وتناوشتُهُ صعبُ
الدُّنيا بمخالبِها، وألجأته إلى الخصاصةِ، وركمته في عنقِ المخمصةِ،
فانظري ووعي بقناعةٍ ورضى لا يكشفُ عن حسرةٍ ولا يشفُّ عن ندامةِ.

وتلقيه بيدِ آسيةٍ رحيمةٍ، تنسم عن روحه وبدنه وتمسحُ القرَحَ
والألمَ، وتهدهدُ للقلبِ المتعبِ المكذورِ عند هداةِ الغروبِ وإغماضِ
السُّكونِ عينه..

كوني دثاره، كما الشَّمسُ دثار الدُّنيا تمحو العتمةَ، وتزيلُ غشاوتها،
وترضعُ الأيامَ من ثديِ ضوئها المدرارِ..

كالشَّمسِ في كبدِ السَّماءِ وضوؤها يغشى البلادَ مشارقًا ومغاربًا

كُونِي دثَارَهُ، بِظِلَالِكَ اللَّطِيفَةِ الرَّيْفَةِ، تَرْفِينِ عَلَيْهِ كَالْأَقْحَوَانِ
المفْلَجِ، وَتَبْرَدِينِ رُوحَهُ بِرَيْقِكَ الْبَلُورِيِّ الصَّافِي إِذَا مَا تَكْدَّرَ صَفْوُ
أَجْوَانِهِ بِعَجَاجِ الْمَعْضَلَاتِ، وَتَلْبَسَ الْيَأْسُ صَدْرَهُ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى
الْمَدْلَهَمَاتِ، وَتَمَكَّنَ الْقَنُوطُ مِنْ قَلْبِهِ.. فَكُونِي هُنَاكَ..

لِيَتَغَلَّغَلَ فِيكَ تَغَلَّغَلَ الطَّائِرِ فِي غَمَارِ السُّحْبِ، فَيَغِيبُ غَيْبَةً
الاستِحْمَامِ فِي تَيَّارَاتِ رُوحِكَ مُعْتَدِلَةَ الْمُنَاخَاتِ بِأَجْوَانِهَا الْأَمْنَةِ،
وَمَشَاهِدِهَا الْأَنْسَةَ شَرِيفَةَ الْمَوَارِدِ كَرِيمَةَ الْمَصَادِرِ، فَكُونِي نَدِيمَةً لِيَلِهِ
وَنَهَارِهِ، فَفِي دَثَارِكَ الْمُلتَقَى وَالْمُرْتَجَى.

- فاصلة..

الصَّابِرَاتِ..

قلت: إِنَّ صَبْرَكَ مَعْجَزَةٌ..

قالت: وَصَبْرَكَ! لَيْسَ بِمَعْجَزَةٍ..

قلت: أَحَاطَ بِسُورَارِي الْقَيْدِ، وَأَلْقَيْتَ قَسْرًا فِي غِيَاهِبِ السُّجُونِ،
فَهَذَا قَدْرِي وَطَرِيقُ اخْتِرَاقِهِ عَنْ رَغْبَةٍ مِنِّي وَرِضَى وَتَلْبِيَةِ لِنَدَاءِ رَبِّي..

قالت: أَنْتَ قَدْرِي وَقَيْدِي الَّذِي أَحَاطَ بِمَعْصَمِي وَطَوَّقَ جَيْدِي..

قلت: أَيَّ قَيْدٍ؟!

قلت: قيدَ الحُبِّ يا سيّدي.

قلت: أحرّركِ من قيدِك، ويكفيك ثمانية عشر عامًا من التقلّبِ
على صفيحِ الشّوقِ الحارقِ.

قلت: يا هذا، لا أنزعُ سربالَ الحُبِّ وجليبًا ألبسنيه الإلهُ لأعيشَ
طريدهً شريدهً عريانهً في بطونِ الأيامِ وأوديتها وأعماقِ كهوفِها.

قلت: جنون!

قلت: وهل يوجد عاشقٌ عاقلٌ!!؟

قلت: لا أدري..

قلت: إنما يكمنُ العقلُ كلُّ العقلِ في جنونِ الحُبِّ!

* * *

* كوني أنتِ ..

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[الأحزاب: ٣٢].

نداءٌ سماويٌّ آخر يُناديكِ من وراءِ حجبِ الغيبِ، وينذرُكِ
من خطرٍ هاجمٍ، ويكشفُ لكِ بالوحيِ مرضًا عضالًا، ويصفُ لكِ
الشّفاءَ الوقائيَّ لاستئصالِ شأفتهِ، جذوتهِ.

يقول صاحبُ المُنير في تفسير ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: فلا تَلِنَنَّ الكلامَ ولا تُرَقِّقْنَهُ عندَ محادثةِ الرِّجالِ، وليكنَ بجِدٍّ وحزمٍ وقوَّةٍ؛ حتَّى لا يطمعَ بالخيانةِ مَنْ في قلبه مرضٌ وميلٌ إلى الرِّيبةِ والفسقِ والفُجورِ. ويقول القرطبي في: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: أمرهن أن يكون قولهن جَزْلاً وكلامهن فِصْلاً.

فيا سيدي: كوني مَنْ إذا قالتُ قطعَتْ، وإذا تحدّثتُ فصّلتُ دون لحنٍ أو تغنُّجٍ، ومن استترت من وراءِ حِجابٍ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقد قال بشَّارُ بنُ برد:

الأذنُ تعشِقُ قبلَ العينِ أحياناً

فلا يحقُّ ترخيمُ الصَّوتِ إلاَّ للخبِيبِ، ولا يليقُ اللحنُ فيه إلاَّ له..

منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحياناً نأ وأحلى الحديث ما كان لحناً

إنَّها رسالةٌ ربَّانيَّةٌ، رسالةٌ مَنْ هو خبيرٌ بالقلوبِ واعتلالاتِها، رسالةٌ مَنْ يغارُ على حرَماته فيرسلُ توجيهاً لحفظِها وسلامتها وإبقاءِ نقاوتها وطهارتها، رسالةٌ مَنْ يشخصُ الحالةَ، ويعطي دواءها، ويصفُ علاجها، فمرضُ الخضوعِ بالقولِ الدَّاعي إلى أمراضِ القلبِ يعالجُ وقائياً بالقولِ المعروفِ، القولِ الحسنِ المميِّزِ بالخيرِ، لا قولِ اللينِ

الحنث المريب، فلا يحبُّ الرَّجُلُ المرأةَ السُّلعفاءَ (الجريئة على الرجال)..

إنَّها رسالةٌ من يريديك عفيفةً طاهرةً اللسانِ والروحِ، نقيَّةَ السَّريرةِ والظَّهيرةِ، فحرِّم عليك الخضوعَ واللحنَ، وما أحلَّه بل فرضه عليك للحبيبِ الحلِّ بعقدِ الله، فاهمسي إليه بحديثٍ لاحنٍ كلدَّةِ النَّشوانِ؛ ليزيدك دلالةً على دلالٍ، ويحيلَ عقله إلى جنونٍ، وصبره إلى عجزٍ، وقوله المُتيمِّمِ إلى فعلٍ مُتَمِّمٍ.

يا سيِّدتي.. حذار.. حذار.. فكم من كلمةٍ لائحةٍ انزلت من فمٍ لم يلق لها بالأ، ففتكت بقلبٍ، وأضمرت فيه ناراً، وكم من بيوتٍ غشاها الخرابُ فصارت للغربانِ منعقةً، وللبومِ منعبةً من بعد كلمةٍ ليَّنةٍ سحبت في سلكِ هاتفٍ، أو حملتها الرِّيحُ في فُسحةِ اللقاءاتِ وحلقاتِ المُجاملاتِ والحفلاتِ السَّافراتِ.

حذار.. حذار.. من تقليلِ خطرِ الكلمةِ اللائحةِ وشبهتها، ففي القولِ العربيِّ: «إنَّ الخصاصَ في جوفها الرِّقم» أي: إنَّ الدواهي تكمنُ في جوفِ الجزئياتِ الصَّغيرةِ، إنَّها لحكمةٌ بالغةٌ تحذّر من ذلقةِ اللسانِ اللائحةِ التي تشعلُ ناراً تسعّر..

فتسلّحي بالقولِ المعروفِ فهو خيرٌ وأبقى..



* كوني الحذرة..

- احذري أن يبكي صامتاً مثل الشموع، ويزوب ببطءٍ وسهولةٍ على حرارة شعلةٍ تُراقصها الريح من نوافذِ الهموم والإهمال.
- احذري أن تنامي كأميرةٍ بجانبه، بل يجبُ أن تنامي راقصةً غناءً في عينه وجوفه.

- احذري أن يقلبَ ليلاً على فراغٍ روحيٍّ وخواءٍ جسديٍّ، فتقتلي رجولته، واحرصي أن يبقى الفتيلُ مشتعلًا في أوراقِ الليالي المبتلةِ بعدوية القولِ وشبقِ الروح؛ حتى تنطفئ كلَّ الشراراتِ بماءِ الحُبِّ.
- احرصي أن تكوني محورهُ الذي يدورُ في فلكه فلا يبرحُه، كما الشمس لا تبرحُ دائرةَ الحملِ، وكما النجوم والأقمار محتضنةً أبداً في أبراجها.

- احذري أن ينفقَ هذا المحور من حيث تدرين أو لا تدرين، فتتجاذبهُ محاورٌ جديدةٌ، فترحل به بعيداً، فتُسكنه أبراجاً وأفلاكاً تبعدُ عنك مسافةَ الذكرياتِ، أو تحطُّ به على بعدِ نظرةٍ من ماضيكما فتحترقين على كسبِ الذاكرة المحمومة..

- فاصلة..

وقفَ يسترقُّ النظرَ من خلفِ حجابٍ وعدادُ العجبِ يرتفعُ

باطِّرادٍ، وهو يسمعُ العصافيرَ تشدُّ متماتِك، ويرى الغصونَ الغصَّةَ
تتراقصُ طرباً وتتهادى على تمايلِك المدلِّل، ويرى الأزهارَ تزهر
بألوانها المسروقة من لونِ خَدَيْكِ الجُمُرِيِّ، وتثر الشَّدَا مدراراً نفخته
أنفاسُك، ويرى خيوطَ الشمسِ الذَّهبيَّة تتكسَّر شظايا في بحيرة عينيكِ
الجارية، ويرى الشَّمْس تتهلَّل وضاءةً كلِّما انعكس عليها بياضُ وجهكِ
الرَّجراج، ويرى القمرَ يختالُ كزورقٍ نورانيٍّ سابح في محيطِ القبَّة
الزَّرقاء وقد لهُ نورٌ عينيكِ، ويرى الورودَ المخمليةً بانسيابٍ وتعرُّجٍ،
ويرى جيدك الرئم يطولُ مشربباً كإبريق فضَّة يرشُّ مسكاً وعطراً..

يرى ويتحيرُ ويتأملُ ويزدادُ عجباً على عجبٍ؛ حتى رآك قواماً
باسقاً، ووجهاً صبحاً كملكِ السَّماءِ الأخيرة، هبطَ فتجلَّى للعيانِ في
عينِ الغمامِ ووجهِ السُّحب، عليكِ حُلُّ الجنَّةِ، وفي سيقانِكِ خلاخيلُها
النَّضيدة، وينبعثُ من جوانبكِ نورٌ إلهيٌّ، حتى صرتِ تضاهينِ الملائكةَ
سناً ونضارةً، فيأرُّ إليكِ بعد طولِ حيرةٍ طروباً جذلاناً، وحبُّ لاجعٍ
دقيقٌ يختلجُ ويعتلجُ في صدره لا تهدأ ثائرته إلا فيك..

فكوني أنتِ..



• هَمْسَةٌ..

اجعلي حبك سرطاناً أنثوياً يتوالد في مضاميره وأعماقه مع
كل نفسٍ لك، ومع كل نظرةٍ لك، ومع دفئك المفاجئ اللامنتهي...
اجعلي حبكما مدًا لا يجزر، وأحلامكما كأحلام الفراشات
بألوانها ومديدة أعمارها، فبعمر السموات والأرضين..
كوني أنت..

* * *

** نهاية..

قال أحدهم: لقد انحزت بكتابك هذا إلى معسكر الرجال..
فقلت: بل انحزتُ بامتيازٍ لهذا المخلوق البشريِّ الرَّائعِ (المرأة)
الذي يملك من الإمكانيات ما يجعل الرجلَ أسيرَ حبِّ خالصٍ..

* * *

